مُزْن الكلمات

فاضل مصطفى الزباد

الكتاب : مُزْن الكلمات (مقالات)
المؤلف : فاضل مصطفى الزباد
الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠٠٩
رقم الإيداع : ٢٠٠٩/٢٠٦٨٣
الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978 - 977 - 493 - 007 - 2

الناشر
شمس للنشر والتوزيع
٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى- المقطم- القاهرة
ت/فاكس: ٢٧٢٧٠٠٠٤(٠٠٢)- ٠١٨٨٨٩٠٠٦٥/٦٤(٠٠٢)
www.shams-group.net

تصميم الغلاف: محمود ناجيه

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لا يسمح بطبع أو نسخ أو تصوير أو تسجيل
أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة كانت
إلا بعد الحصول على موافقة كتابية من الناشر

مُزْن الكلمات

مقالات

فاضل مصطفى الزياد

شمس
للنشر والتوزيع

إلى روح والدي وروح والدتي..

وإلى زوجتي..

وأبنائي مصطفى وفيصل وخالد..

وإلى روح ابني الراحل أحمد..

أهدي هذا الكتاب الذي يمثل باكورة أعمالي...

فاضل مصطفى الزياد

مقدمة

إنْ آذنني القارئ أن أتطرق إلى حزمة من المشاهدات المتوارثة زمنيًا، والتي ربما يكون السرد فيها إسهابًا وربما يكون اقتضابًا، غير أن ذلك ينطوي على كثير من التجارب التي تصلح أن تكون مصدرًا واقعيًا يتعلق بالماضي ويمتد إلى الحاضر، أما المستقبل فأمره موكول إلى انتزاعات الفرص والتهيئة وإمكانات المد في العمر، فنحن نولد ومع ولادتنا يبدأ العد العكسي لأعمارنا، لأننا عندما كنا أجنة يكون العد ليوم الولادة وإفاضة الحياة، وبعد الولادة تكون أيام الطفولة والشباب والكهولة أبوابًا متتابعة نحو الإقالة من الحياة، وليس هذا مدعاة للتسليم وانحسار الطموح، وتكاسلاً عن التحليق عاليًا؛ بقدر ما هو تذكير لأهمية رسالة الإنسان كونه يقع ضمن دائرة الجدوى وما يستطيع أن يستجمعه من أسباب تعينه على الخلق والفهم أكثر مما تعينه على المكابدة، فإذا عرف الإنسان سر التواصل بين وجوده وبين رسالته عرف كيف يفهم لماذا يفكر ويبدع

ويفهم ويتعلم ويكابد ، ربما يتلذذ من تلك المكابدة ويدرك أن معينات المكابدة والسير في ركاب الحياة كثيرة وعليه هو أن يعرف كيف يسخر طاقته ويهيأ نفسه وذاته نحو التكيف مع الوضع الذي ينساق في غضونه محددًا اتجاهه شعوريا وعقائديًا وسلوكيًا.

المشاهد تتوالى، قد تتجزأ وتتباعد؛ ولكن لا تنقطع، لأن معايشة الإنسان لأحداثها مستمرة وفي ديمومة حيوية فلا تتجمد أو تتكسر ولا يذبل رونقها لان أوراقها تبقى مخضرّة وتظل تسبح وتطفو فوق سَوْرة ماء النهر المتجدد.
حينذاك تكون الكلمة حُكمًا وفصلاً، وتكون رأيًا تكنز في سحابتها البيضاء مطرًا يزيّن الأرض ويلهم الأرواح ويلقح الأمزجة بالتفتح.
سقاية تلك السحابة تتمازى عن عطاء يشمل الكائنات بجود تفكيري وتأملي يستهلهم بالمعرفة ويختتمهم بانبعاث مكاسب مؤشرات إنجازاتهم الحياتية التي ترفض التيبس وتتحدى تشققات الجفاف عقلاً ولغةً وحواسًا ، وكأن أمر ذلك إعادة هيكلة لعزوم النفوس.

أقدم لكم مجموعة مقالات منشورة تلتزم تنظير الكلمة العابرة لقارات التشخيص ومحيطات التمحيص لترسو في جزر العائذين من قطيعة الأخلاق.

وأرجو أن أحظى بتوفيق من الله تعالى على هذا العطاء المتواضع.

المؤلف

منتهزات التقوّل

أنحن جاعلون إساءة الآخرين الظن بنا محورًا لتقييم سلوكنا وتقويم أخلاقنا، إنه لأمر مريب لأنه ربما أصاب هؤلاء الآخرون في ظنهم منعطفًا تنزلق معه تفوهاتهم والتي لم تكن تأتي من قناعة التصديق بقدر ما هي تحترق من نفثات التلفيق، وربما تكون تلك الإساءة مواجهة مفعمة بالتحريض الأبكم الذي يفتقد إلى الفهم وإلى التفهم.

تنم هذه الإساءة إلى قصور في مبادلة الرأي، ذلك الرأي المتراجع يصعّد انتكاسة التصور غير المبني إلا على تحجر العقل الذي لا يدرك التوجيه، لأن هذا الموقف هو شحنٌ متجمد السطح تذوب عنه طبقة التخاطب والاستفهام، فأين يستقصي الآخرون بنا الأرجح من خلال مجابهتهم لنا بهذه التورية المقيتة والتي تكون بلا دلالات وبلا أرجحيات مبنية على سدة مكينة، فبمجرد ما يبدي الآخرون تقولهم علينا لا ننكر إننا نحس بثقل الوطأة على كاهلنا، لأن إساءة الظن ليست مبادرة وإنما هي مأخذ سلبي نحاسب عليه، وعلينا أن ندافع عن وجهتنا الأخلاقية والسلوكية إزاء ذلك.

قد نبقى ساهمين يعترينا التجهم، غارقين بفكرٍ انتكاسي يجعلنا نبرم أمرًا مع محتوانا الذاتي بتركيز عارم شديد وسريع لكي نفجر ينابيع الإجلال النفسي مع ما قاله الأطراف المقابلون في شأننا.

قد نرد على ذلك بأساليب الدفاع المتعددة، وقد نبقى صامتين منسحبين، إلا أن فجاءة الموقف يجب أن لا تمهلنا لكي نتخذ قولاً صارمًا في لحظة اسمها لحظة الذهول الموقفي، لأنك لا تصدق نفسك أن أمامك شخصًا يناوئك الدراية بنفسك فيهيل عليك الاتهامات تلو الاتهامات المتكيفة مع دوافعه وأسبابه المبنية على الشك، فهو ينتحل شخصية القذف، وأنت تنتحل شخصية الشطب والحذف لتحقق التكامل المقرون بتدوير الفكرة الخاطئة، فهو ينطلق من مقتنيات مشحونة، وأنت تنطلق من ركائز مكنونة تعبر عن ارتفاع كبير في أثمان تثبتك الذاتي ووقوفك أمام تفريغ إكالات الانعكاس الحواري والذي لا ينذر إلا بريح فيها صرّ استهدافك.

إن لكل إفصاح معلومة، وكل معلومة لا يكون انطلاقها إلا من وعي، فإذا كان اللسان لا يستطيع أن يعي ما يقول فلا ينبغي لصاحبه أن يجعل من نفسه نذيرًا طائشًا يسلط نبرة حارقة ونعرة مارقة، قد لا تكون هناك أسباب فاصلة في إقليم العلاقات بيد أنه تصرف نازح من تمارض اندفاعي، وان كشف ذلك سيكون مؤجلا لما بعد حين.

إن إساءة الظن تسديدٌ بلا أهداف، وارتفاعٌ في معدل وفيات الوشائج المتلبكة والأقوال المرتبكة. فهي عجزٌ لا إعجاز، وإسفافٌ موتور في مستويات شديدة اللجة تستعمل مناورة التسريب الشائب لمياه بددت صفائها.

فإساءة الظن ليست قدرة تحسسية، بل تسييل لذرائع قد تهدم عتبات صلدة من العلاقات لكي تصبح أثرًا مندثرًا بعد أن كانت عينًا فارهة البنيان.

إدراك المواقف

في هذه الحياة تتوالى الفرص وتتعدد المواقف، والإنسان إزاءها قد يسمو ويبقى مكتوفًا، وقد ينبري لها ويستغلها. وحين تتداخل أمور الاختيارات يجب أن تكون للمسؤوليات قيمة واعتبار وأهمية، لأنها تؤدي إلى تبني قرار ينطوي عليه كثيرٌ من إحداث التغييرات، فالذي نفهمه أنه إذا كانت المعرفة حدائق فيجب أن نتعلم ونعرف كيف ومتى نقطف ما فيها من أزهار، عند ذاك نعي حقيقة كيفية التفكير إذا ما أردنا أن نحصل على المعرفة وسبيلنا إليها الإدراك الذي يضم انفراج العقل وتفتح الذهن حتى نصل إلى التغيير المطلوب في حياتنا والذي سيترتب على نتائجه الإنجاز القويم نحو النمو بما يسدد خطى امكاناتنا للوصول إلى أهدافنا.

المسألة مسألة قدرات إضافة إلى الامكانات، ومسألة تفكير لكيفية اختيار البدائل إذا حددنا أهدافنا مسبقًا. يجب أن نتعلم ماذا نريد أن نغير لأن هناك تحديات ومعيقات ومخاطر وأساليب غامضة تقف حجر عثرة أمام طموحاتنا، لهذا علينا أن نستفيق دائمًا على حلول نواجه بها تلك التحديات والصعاب

باستخدام التفكير وتركيز الأفكار لكي يصل بنا سلوكنا إلى واقع مفهوم ضمن نطاقنا الاجتماعي.

فالعبرة أخيرًا بالنتائج وأن نتخذ من الوسائل ما تفك عنا ازدراء الآخرين، لأن الفرص وإن كثرت فإن اقتناص الإنسان لها يبقى عامل قياس أخلاقي يطرح طريقة تعامل ذلك الإنسان مع تلك الفرص محتسبًا الميول والرغبات والنوازع، وإذا كان الإنسان مجبولاً على التخطي والاستحواذ والتجاوز، فإن إدراك أهمية الوازع في مواجهة الفرص يُعلي من شأن الوقفات الجريئة بما يتفق مع التصرف الذي يوازن بين التطلع والأسلوب.

فلابد إذن من الاقتناع بأن خط التلقي يتماشى مع كوكبة الساعين إلى حمل الرسالة برؤيتها الهادفة قبل السقوط النفسي والأنانية بزاويتها الزائفة.

فإذا كانت المواقف عطاء الإنسان، فلعله يمنن بحساب الظروف.

أعمدة الملاحم

دون شك موارب وفي أي حقبة ملحمية، تشاء الفرص أن يبرز قائد تتنفس به الأمصار الصعداء فتدين له رقاب الجيوش والإمبراطوريات وكأن جبهته أجدى أن تعلو بها الرايات.. هؤلاء هم القادة، وشاح المعارك الذين يستعملون صولتهم بالثبات فتهتز من تحت أرجلهم الأرض، يحتضنون من خلالها أتباعهم مؤصلين فيهم مواقف العزيمة،يستوحونها من الحكمة والخبرة وامتزاج الدراية.

لكل قائد إمكانات تأثيرها مرتبط بسلوك التقدير الموقفي، أولئك القادة يفيضون على مرؤوسيهم أهمية قصوى من الرعاية لأنهم اقتنعوا أنّ بواسطتهم تتم الانتصارات وتنساق الفرص نحو عناصر قوتها، وعندما يوجه القائد ويطرح أفكاره إنما تزدهر فيه ملكات غير مطروقة تكاد تكون خافية حتى على أصحابها، لأن إلهامها ينطلق من بوادر الوعي واللاوعي فلا ترتبط بفئة عمرية ولا بقوة جسمية، ملتحقة بالقائد منذ أن يُولد إلى أن يكبر.

صفات القائد تعيش التميز بكامل صوره لأنها مرتبطة بالطموح وسداد الرأي، كما تتحلى باتخاذ القرار ومسؤولية الاقتدار التي تزين مالكها بالقدوة.

ورغم الاختلاف في نظريات القيادة في تفسير مثالية القائد إلاّ أنها تتفق بالتطلع والرؤية والخاصية التي يملكها البعض ولا يملكها البعض الآخر لكونها تهدي صاحبها قدرة التحفيز ودون أي إكراه، فشخصية مثل تلك مثيرة للإلهام والدافعية والسيطرة على الموقف، شيء ما يحرك إنسان ما على الجرأة والتأثير وابداء الأفكار. هذه الخلاصات ليست وهمية ولا هي خارج نطاق الطبيعة بل هي تجارب محفورة على حجر بارز فوق صلادة الشموخ والحزم وانتزاع الفرص طالما تمازجت الملاحم بثقة النفس واقترنت الشجاعة بصبر ساعة.

ويبقى القائد يبرهن أنه فذ بقدر اقتناعه بأهمية حشد القوى والسير بالاتجاه الصحيح نحو أداء يحقق أهداف التكليف قبل أغراض التشريف. لذا فإن مفهوم الكفاءة ليس منقطعًا ولا يستنفر الغرابة لأنه يولد دائمًا على فطرة الإقدام ومن سلالة العلاقات المجدية، فالجدارة بسطةٌ تختار هي أسلوب تحركها نحو تعريز أدوارها بكل القيم والأخلاقيات.

فالقادة هم أعمدة الملاحم بلا منازع، يستوي صيتهم رمزًا سخيًا للسجايا والبقاء.

استدلال صدق الكلمة

ليس هناك توجس من عدم وجود إصدارات ثقافية متعددة، ولكن التوجس يكمن في حد من النضج الذي تتمتع به تلك الإصدارات من خلال نشر الكتب والمقالات والروايات والقصائد والدواوين الشعرية، مما يضفي فائضًا كميًا لأرفف المكتبات. وعندما نتكلم عن النضج فإن القصد يتمحور في مدى التكافؤ الفعلي والوجداني بين ما ينشر وبين ما يخضع لعملية الانتقاء الفكري الذي يقوم على استدلال عناصر الفكرة والحبكة وفق مقاييس الاختيار، وصواب الفكرة هنا هو التركيز على إنجازات الأدب بما يحمله من تميز معنية من أمر الإبداع الشيء المثير، ذلك الإبداع الذي يفرز جماليات ذوقية ومزايا تفوح بالالتزام وخصوصية الواقع الاجتماعي لأننا نعترف بأن قاعدة الأدب هي الإنسان عقلاً وأشواقًا وآمالاً وأحلامًا، فالمنجز الثقافي هو ما يضفي انطباعًا سياديًا في العقل وفي الوجدان لأنه يعتبر تعبيرًا نموذجيًا يطرح علاقة تلوح بالشفافية قبل التكتم عن اضمارات النرجسية والأنا والتي تأخذ منحنىً غريميًا مع المصداقية، فليس هناك علاقة خرساء بين الثقافة والجمهور فما دام منظور الأفقية في العطاء والتلقي بارزًا وموجودًا ويحقق

وفرة تبادلية في التفاهم وفي التأثير والتأثر، فالثقافة ليست قابعة في صحراء معزولة، وإنما هي طاقة معرفة للبشرية سواء كانوا مبدعين أو قراء، نخبة أم عمومية جمهور.

إن كمية الإصدارات لا تفي وحدها بالغرض والإسهامات، بل لابد وأن تتوفق بالنوعية، وهنا لابد وأن نفرق بين نتاج الموضوعية ونتاج السطحية، فالأول يرفع من قيمة نفسه بتميز عطائه، والآخر يضع نفسه مضاربًا، في مهب ريح التبعية والنمطية والمجاملة والنفاق الأدبي وكتابة سطور اللا معنى واللا هدف سوى هدف التسلق من التودد والمحاباة.
من هذا المنظور نستطيع أن نتوسم المقارنة ما بين الترفع والاقتدار وبين الانحطاط، ما بين الثبات والتوهم، فهذا يعمل ليومه ومصلحته، وذلك ينتج لأجياله ومستقبله وقيمه ومثله العليا.

إن الثقافة ليست للخاصة دون العامة، وليست التنمية الثقافية ترفًا فكريًا، فالثقافة لها شمولية ولها انتشار، ولكي تصل إلى القراء لابد لها من حسن إدارة، فالموارد الأدبية موجودة ممثلة بالمنجزات الإبداعية والثقافية، لكن تبقى مسألة إدارة تلك المنجزات لكي نشعر بالاهتمام والرعاية حتى تصل دون تباطؤ أو شعور بالإحباط إلى الجمهور.

فالمسألة إذن يكمن فحواها في كيفية الحفاظ على الترابط ما بين المؤسسات الثقافية وما بين المبدعين أولاً حتى يعرف الجمهور ما هو حجم الثقة بينه وبين ما يُنشر، وهنا علينا أن نقنعه بأن الإبداع هو تفجير للطاقات وأداء إنساني مخطط له، مميز يعتمد إلى حد كبير على الأسلوب والفكرة والموضوعية التي يتهلل وجهها فرحًا حين تخرج من أفواهها الكلمة الصادقة.

ارتداد الإبداع

للشعر جولات مطروقة وصولات مرموقة تتعلق كلها بحذافير محاولات الاستزادة والتثقيف والبناء الذاتي والإثراء والتواصل، وذلك من خلال قراءات مستمرة متواترة ملحوظة الإسقاط وبائنة الحضور، فحين يكون الشاعر جاهزًا لكتابة قصيدة فإن تلك الجهوزية لا تأتي من فراغ أو دون خلفية موضوعية بل هي مكنونات فكرية مدعومة بإسنادات قائمة البنيان لا عوالق متساقطة تؤثر فيها مقذوفات التصنع والتحين.

فالشعر تواصلات، والقصيدة هي رمز قائم بذاته نابع من تلك التواصلات الثقافية والفكرية، وأصدق دعم لها هي التجربة، فالتجربة والثقافة يولدان إبداعًا منغمسًا بشراب التمكن؛ تمكن فكري وعاطفي وخيالي، ولإقرار هذه الملكة الشعرية ينبغي على الشاعر ألا تلهيه المشاغل الحياتية عن القراءات بحجة عدم وجود أوقات فراغ مقتطعة يختلي فيها الشاعر بجلسة نفسية رائقة وثاقبة في استطاعتها الحصول على مدخل منفتح الذهن متزامن مع الاستعداد ومقتدر على احتواء

خوض السياقات النصية بتآلف وتناسق معزز بذهنية حاضرة باستمرار مع رواج فكرة كتابة القصيدة.

يدعي بعض الشعراء بالانشغال، وأن الوقت بات ليس من صالحهم لإعادة تاريخ نشاطهم الثقافي، وأن سنوات طويلة قد مرت تناسوا معها حتى كيفية الجلوس بصفاء لكتابة نص.

لا أسمي هذا قصورًا أو يأسًا بل تراجعًا وتقصيرًا مع الحفاظ على التوجه القائم أصلاً على النظم باقتدار، لعله انقطاع اختاره الشاعر لنفسه كنوع من عدم التوفيق بين ما يجّد من أجله وبين طموح الشاعر وإبداعه ومشاركاته، وهذا موكول بإرادة الشاعر الخاصة وإعادة ترتيب خطته وتكسير حواجز الإعاقة.

ودأبه بأن يهتم بقراءات شعرية حاضرة تتحف ذهنيته لتحتل مكانة صريحة ومتدفقة وواعية.

لذا فالمبدع يحتاج إلى قناعة بأن الانشغالات الحياتية لا تنتهي طالما يبقى مهتمًا فقط بتأمين احتياجاته المادية.

فليس من الخلاق البقاء في الوراء واستعادة ما كتب على أوراق مبعثرة قديمة وربما تكون ضائعة بل أن يعيد الشاعر جولاته ويكر مع صولاته التي تجعله فارسًا مشهودًا له بالأداء المتميز المواكب لإسهامات العصر، وذلك لكي يساهم في إعادة نفس غير شائب لرئة الثقافة والشعر والأدب، وليقتنع بأن كتابته لأي نص إنما هو حدث مؤثر لا يأفل بنكوص، ولا ينتهي بعدول.

استشفاف دوال النص

يكون الإبداع عامل بناء عندما تتوافر فيه مقومات التأثير، وينص صراحة على إثارة مخزون التركيز لاستدراك ما قد يفوت من فرص الاستجابة، فالعمل يعلو ويسمو من جراء الكتابة، ومن جراء ابتكار مقومات التأثير.

فالتأثير عبارة عن جلسة انتخاب تحين عندها ساعة الحضور الذهني من خلال اجتهادات تتمادى مع الموهبة ومع الحبكة، والقيمة هي التي تترأس تلك الجلسة كي لا يكون التعامل إلا بدبلوماسية مرنة وفكرة تتلمس تخطيطات مبتكرة وبرتوكولات مؤدية إلى اعتقادات مستوفية لشروط الاسترخاء الذهني الذي يفضي إلى اكتساح العمل الأدبي لكيان التلقي ورغبة الاستزادة بما يدعو إلى شغف خاص ما بين العمل الأدبي والمتلقي. ذلك الشغف لابد له من تحول في النظرة وفي الاهتمام وقوة التركيز في استيعاب ما يكتب أنه تغير إلى بناء قواعد الإيغال الشعوري والنفسي وفق قراءات متوالية نقدية، بل هو بناء أفكار مستدرجة من إسقاطات النص الأدبي فهو استلهام لما يريد المبدع قوله من خلال ترتيبات وتحضيرات نصية متينة ورصينة، فهو ليس تفسيرًا سريًا بقدر

ما هو استشفاف لموضوع الإبداع، وكل ذلك يتعلق بالكيفية التي يقرأ فيها المتلقي النص، وهل هي قراءة سطحية أم قراءة متعمقة استنتاجية، أم مرهونة بسد وقت الفراغ، فقراءة النص هي حالة تتبع وبحث في أعماق النص ومعانيه ودلالاته ومؤشراته، فالنص يحكي تجربة وينقل معاني، فالأجدى أن نقف وقفة راصدة لفهم ما يدل عليه مرتكز النص التصوري بطريقة أشبه ما تكون بالبانورامية التي تضفي بها ورونقًا معنويًا إلى عالم من الخيال المشوق، فالاستفهامات تنطلق، وحلها لا يكون إلا باستحضار تأملات العاطفة والشعور والحس، والبحث عن جدوى يمكن من خلالها الحكم على النص وتلقي مسوغاته وطروحاته التشجيع الكافي بقراءته مرات ومرات دون أن يؤدي إلى انعكاسات ترتد إلى اللا قبول.

فجودة النص تفرض نفسها من غير أن تتقاذفها وتتجاذبها عثرات المجاملة والإطراء، فلا مجاملة مع قيمة حقيقية، ولا إطراء مع إبداع يتجرد من الزيف والأهواء ومن التسكع في ردهات الرياء والنفاق لأنه يحكي علوًا في المعنى وفي السياق وفي حضوره المتمكن، فهو يقطع الشك والبلبلة والتشويش بيقين الفكرة التي يسوقها. فالتأثير هو إتيان توافدي يحرص على دوال المعنى كحرصه على جمالية التعبير.

أصالة الإبداع

للعمل الأدبي تأثيرات تنزّ بها إيحاءاته ومعانيه، بما تحمله من أصالة إبداعية وجمالية، وله آلاء، وآلاؤه هي طاقته المتدفقة من المشاعر التي يستنهضها في النفوس. فإيقاظ الطاقة الشعورية إنما هي نقلة من حالة الخمود إلى حالة النهوض العاطفي، فهو يثير وجدانية خاصة تتوافق مع فكرة الموضوع الذي يستقصيه.

ولهذا يمكن أن نسمي ذلك بحالة الإفاضة من الجمود والتوقف عن الإثارة، ولا يتم هذا بشكل مطلق، وإنما ينبع من عواطف صادقة ومشاعر نبيلة خالية من الزيف.

فالتعبير ضروري كوسيلة لإثارة المكنونات الوجدانية المخبوءة، ولا أقول أنها مستهلكة وموروثة ومعهودة بل مخزونة ومستثارة حين يكون لديها الاستعداد، والاستعداد ينتظر إيعازًا عاطفيًا يحيط تلك المشاعر بهالة ثرية من التجليات الوجدانية الخالصة، بما يجعل التلقي يندفع نحو أفق التقمص.

فإذا ما منحنا العمل الأدبي تلك التأثيرات واستدرجنا لوفاق وجداني وعاطفي خاص نستطيع أن نحكم عليه بالصدق

والأصالة، بما لا يدع مجالاً للشك وضوح نيته في إبراز مكرمة ما استقر في نفسه من ثبات سجيته.

فوضوح المشاعر وصفاء سريرة العاطفة يجعلان من النص الأدبي خلقًا وإبداعًا يتكشف معه التفاعل المتبلور لدى السامع أو القارئ، فإذا كان النص هو انعكاس للحياة فإنه يكون مرآة نقية بلا خدوش؛ لإنسان هذه الحياة يتفوه بهمومه ويستقرئ إيغالات الشوق والغربة والحنين وكل مضامين التوجع والتحليق في أجواء المراهفة التي يطلقها حس التلذذ.

تلكم هي المؤالفة، وذلك الإيجاز.

الإبداع بين التخوف والحرية

هناك شيء لا يمرق عبر منافذ الإبداع، ولا يُتخطف ارتقاؤه، ولا يجفف روافده، ذلك ما يسمى بماثل التخوف الذي ينعقد على شكل معتقدات بليدة وأمر واقع تضمحل أمامه التطلعات وتموت عنده إرادة القوة.

فالكتابة لا تعرف وأد الكلمات ولا طمس الحقائق، والإبداع لا يجتمع مع انهزامية النفس ولا يتواءم مع تحديات التخلف ولا مع معتقدات التردد والارتجاف. فإذا أردنا أن نثبت مقدرتنا ونجاحنا فعلينا أن نتخلص من تلك المخلفات وأن نغير إدراكنا ونزيح عنه سلبياته وأن نتخطى محدودية النظرة، ذلك لأن الإبداع لا يتوازى في مسيرته مع عبودية تفرض أحكامها فرضًا قسريًا، لأنه طاقة جوهرية تتبنى منطق الحرية والتكافؤ دون مواربة أو تمييز طالما بقيت تتمرس تمرسًا خلائقيًا مع مبدأ الصراحة وإبداء الرأي دون التواء أو انجرار نحو قائمة الابتزاز.

فإذا كان الإبداع كذلك فإن أساساته تبنى من الإصرار الذي يتمتع بخاصية الحزم والقوة والثقة في الأداء، ومساق ذلك هو

الانتماء الخالص النقي، والإخلاص المزين ببرهان الفعل في روحانية تعلو فوق الشهوات والأطماع والمتاجرة بالاسم والشهرة سائرة بمعدلات مدروسة نحو التميز.

المسألة هي مسألة وثوق في الاقتدار، ووثوق في أمل يعطي إضاءته لتفاؤل موعود، فمنطق الانتماء يقود إلى فاعلية الأداء، وفاعلية الأداء تقود إلى لهجة تحيي سبات الركون والاستسلام فتجعله قالبًا من التحفيز وأصداء تعم بإمكانات المبادرة بكل نداءات التوثب والقفز فوق جراحات السكون وضيق الأفق والقنوط.

فالإبداع يهدي للبشرية خطوط الارتقاء، كما يهدي طموحه وتطلعاته للفكر الإنساني، وكل ذلك يحتاج إلى مواجهة حرة مبنية على استقلالية القرار والمشاركة دون تجاوز، فالمشاركة نهوض، والإخلاص استيفاء لعقلية التحضر، والانتماء إثبات نبلغ بواسطته فضاءات البناء بعيدين عن استخفاءات الزيف وهواجس الوهن.

الانفتاحات المحركة للواقع

نتوثب نحو مزيد من الاعتبار إذا ما انصب اهتمامنا على الأمور الأجدر والتي لا تُقاس سطحيًا ولا يُنظر إليها برؤية عين خاطفة، المتغيرات تتابع والتصورات تلتقي مع تحركات التقبل واللا تقبل، أحداث وعلاقات اهتمامات وتوجسات. كل تلك المحاور تنبني تلقائيا مع الاتجاهات الإنسانية، فالتقييم ينساق مع المشاعر، والإدراك ينساق مع المعتقدات، والسلوك ينساق مع التصرفات، كلها تستدعي تلك الوحدة المحكمة التي يستوي إزاءها الفرد قائمًا وقاعدًا ومتحركًا وساكنًا.

يتبين لنا أن علاقة المتغيرات بالاتجاهات تبقى مرهونة بالاستعداد للتكيف، انتقال الإنسان من مجتمع لآخر يكون أمرًا غريبًا عليه يحتاج إلى تغيير في العقلية وتغيير في أنماط السلوك يجعله متحيرًا متعرضًا لحالة من الاعتصار النفسي، إنها حالة خارجية تؤثر على حالة داخلية، انتقال من الثبات النسبي الموروث إلى التجديد المُحدَث المستغرب.

هي مجابهة تفاضلية بين الاتجاه والواقع، هذا التصور لابد له من أن ينهض على فكر يجعل الاستناد على المبدأ أمرًا محسومًا

ومحسوبًا بدقة، لأن الإنسان بدون مرجعية المبادئ المثلى يتضور جوعًا ذاتيًا وينفلت باحثًا عن معنى لأدوار حياته.

تلك إشكالية مردها إلى العقل قبل أي شيء، فهو المؤدي إلى بروز المداخل اجتماعيًا واقتصاديًا وثقافيًا وعلميًا، لذا نرى أن الفكر الإنساني لا ينعزل عن إدراك المتغيرات، والإنسان حين يبحث عن نهضته لابد أن يسبق ذلك انفتاحًا مليئًا بالأحاسيس الفكرية، فلابد أن لا يتوانى عن التفكير الذي ينصب على ما لم يأخذه في الحسبان، وما لم يدعوه إلى خاطره، لأن ما وضح في حسبانه وأمام عينيه من تفاصيل هو واقع مثيل معتاد بنسبة لما خفي عليه، فالتفاوت بين العقول لا يكشفه إلا التصور لِما هو مُتخيل ولِما يجب أن يُعد فكرة جديرة بالتوقع الصائب الذي يحيل الباطن إلى ظاهر في ظرف يغرق في تيه عدم وضوح الرؤية.

التحفيز نحو فرص التميز الثقافي

لا نوق شح أنفسنا عندما نتآكل ثقافيًا ونقع في دائرة الوجوم واستهلاكات السلبية، فتحتوينا تراجعات الميول واختلالات الاتجاهات، تلك الاتجاهات التي تمثل جوانبنا الداخلية لسلوكنا الذي يكاد يتكيف مع اللامبالاة وعدم الجدوى، وكأن القراءة أصبحت للباحثين والدارسين والمهتمين، ونكاد نبدي معلومة إحصائية تقول بأن القارئ الأمريكي يقرأ أحد عشر كتابًا في السنة، والقارئ البريطاني ثمانية كتب، بينما نجد أن القارئ العربي يقرأ ربع صفحة سنويًا، فكيف نوفق إذن بين الثقافة وبين انتكاسة التعلّم، وهل فكَر الفرد بالصورة التي يجب أن يظهر عليها، أو فكر بالغرض من وجوده، أو ماذا خطط ليحقق أهدافه؟!

هنا، وإذا أردنا أن ندخل في سلم الأولويات، فإن الترتيبات تفرض منا تفعيل الذهن الذي يعتبر الرابط الفاعل بين عقل الفرد والعالم الخارجي، وهذا يتوقف على توجه الفرد لكي يبني على هذا التوجه سلوكه، فالسلوك هو محصلة من الميول والمعتقدات والاتجاهات التي تشكل الشخصية.. والعلاقة بين

التوجه والشخصية يحكمها كيفية تمكن الفرد من تحقيق معادلة المعلومة والوعي والسلوك.

وانطلاقًا من المحاور السابقة،فإن الثقافة هي عبارة عن مقاييس عقلية وسلوكية.. عقلية لأنها تسخر المدركات بواسطة الذهن، وسلوكية لأن تلك المدركات تتحول إلى أفعال وتعاملات وواقع.

دعونا نسأل فردًا من الأفراد عن المطالعة لديه، هذا السؤال يبدو محيرًا بالنسبة له، وسيجيب إجابة يحاول من خلالها التخلص من حالة حرج طارئة ذلك لأن دعائم التشويق الذاتي غائبة فليس هناك ما يدفعه إلى القراءة، لان اهتماماته اليومية لا تتمخض عنها أية حوافز استدراكية نحو تأهيله ثقافيًا، والأسباب متشعبة وكثيرة.

نعم هناك وقت فراغ قد يصل به ذلك الفراغ إلى الملل، والنقطة المثارة هنا هي كيف نستغل حالة الملل لدى الفرد ونحولها إلى دافعية نحو تثقيفه، إنه يحتاج إلى قدرة، ويحتاج إلى تحفيز، وإلى حشد قوى ذاتية لكي يستطيع تغيير توجَه مسار حياته اليومي، إنه يحتاج إلى فرص ثقافية تشده إليها بكل مرونة؛ حضور ندوات ومشاركة في النقاشات وإبداء الآراء كل تلك الفرص تؤجج الفروق بين العقل والجهل وبين التنوير

والفقر الثقافي، وتبين الفرق بين الفهم وبين مجرد السماع والتكرار، فلكي نفهم لا بد وأن نبدي تعليقًا ونتبنى حوارًا، سواء أكان الحوار مع النفس أو مع الآخرين، لأن الحوار بحد ذاته يعتبر مشاركة حضارية توسع المدارك وتصقل الآراء التي قد تكون غائبة بسبب عدم الجرأة والتلكؤ، ولا يهم إن كانت وجهات النظر مختلفة مع الغير،فالمهم أن يكون الحضور ذهنيًا ونقاشيًا موجودًا على كافة أصعدة التركيز والمتابعة وتقبل الآراء.

فالبحث عن الثقافة يحتاج إلى اقتناع،والاقتناع يحتاج إلى قرار ثم خطة ثم هدف، ويحتاج إلى تنفيذ واستمرارية ومثابرة، وبعد هذا نستطيع أن نقيَم جهودنا واستعداداتنا على ضوء النتائج التي وصلنا إليها لبناء شخصيتنا. وعلينا أن نستمر حتى في حالة وجود عقبات، فالقراءة هي بحد ذاتها عملٌ متميز يفي بتوجهاتك وتطلعاتك وأفكارك الصائبة عندك؛ رغم ما تلاقيه من لوم ونقد من قبل الآخرين.

إنه استحقاق يجب أن نسعى إليه بكل طاقة، وبكل التزام.

الكتابة هدف

ما هو موقع الطرح الذي يتبناه العمل الأدبي، وما هو هدفه من الكتابة أصلاً، وكيف نتمكن من قراءة قصائد ليس لها من الشعر غير كلمات مبعثرة هنا وهناك فلا نستطيع لها فهمًا ولا نستطيع لها خطابًا؟.

أظن أننا نبتعد عن المجافاة إذا ما سلطنا الضوء على سلبيات بعض الأعمال المنشورة، وليس هذا من قبيل التجريح أو الامتهان وليس دافعنا الحرج بقدر ما هو توجيه نحو الأفضلية وتعديل لمسارات إبداعية متطلعة.

قد تحمل تلك الأعمال لغةً وخيالاً، ولكن لابد لها وأن تكون رؤيتها واضحة ومحددة، وهذه الرؤية تنبثق من الإصرار على أن يكون لكل نتاج فكرة يُبنى على أساسها موضوع ذلك النتاج، لابد وأن يتجسد لنا النتاج بفكرة موجهة لها من العمق ما يثير الاهتمام والإعجاب، ولها من الابتكار ما تتألق به لحسن توجهها، ولها من التميز ما تراهن به على نجاحها وتأصلها مشدودة نحو عوامل بقائها لا إلى عوامل فنائها. وهنا لابد لنا أن نعترف بأن الأدب ما هو إلا نتاج أقلام موهوبة، ويتم التعبير عنه

بأسلوب فني وجميل، ولكي يكون كذلك لابد له أن يبتعد عن السطحية، وأن يكون حرصه على واقعية الفكرة كحرصه على رصانة الكلمات التي يقوم بتسطيرها. وعليه فإن فكرة الموضوع المعمقة والمبتكرة يكون تخلقها نابعًا من موقف أو قضية أو مبدأ.

وبهذا يستطيع النتاج أن يبرز وأن يحقق القبول والانتشار، فالجديد في أي عمل أدبي هو أن يقدم إبداعًا ناضجًا يتوجه بالمضمون ويعتلي سلم الأولوية في قدرته على التركيز الخلاق الذي يسمو فوق الشبهات مقصيًا وراء ظهره التشويه والتلقين الذين يجرانه نحو الجنوح ونحو الأهواء ساعيًا لتحقيق السقف الأعلى من التفوق والتبجيل والارتقاء.

كلمات لابد وأن يكون فهمها محسوبًا على وسائل النهوض والصواب وليس مأخوذًا على محمل سوء الظن.

دعوتي لكم بمزيد من الاستيفاء والتعلم وإقرار حسن الخطاب.

الكتابة بين الجذب والانحسار

لا أتمنى أن تصل أمور الكتابة إلى طريق مسدود، ذلك لأنها بحد ذاتها قرار يصحبه هدف وينطلق من مبدأ، والمبدأ لا يثبت إلا بتوفر عناصر المنعة المكثفة من الاتجاهات بتماسكها النسبي وتلاحمها مكونة من الميول ومن المعتقدات. نحن لا نكتب إلا حينما يكون هناك موضوع له صلب يبرز أصله ويتولى متابعته فهو في رعاية دائمة تحتاج إلى وازع ورأي وعرض يؤتمن على كنوز الأفكار، وحين نقول بأن الكتابة قرار فإن اتخاذه يكون أساسه حكمًا شخصيًا أو تجريبيًا بالمحاولة والخطأ، أو تكون على شكل عصف ذهني يستخدم الإثارة للوصول إلى غاية أو معلومة، أو يكون تخمينيًا.

ونقول هنا أن الكتابة قرار لأنها تمتشق الإرادة، ووسيلتها الدخول في مضارب الإصرار، نحن لا نعبث عندما نكتب ولا نثير هرطقة بل نصنع حوارًا منفتحًا تكون أبعاده واضحة بين الأطراف، استماع وانتباه وآراء ونقاش، وكل ما يدخل في أدبيات الحوار، فالذي يكتب كأنه يطرح ما يكتب في ندوة فهناك من يهتم وهناك من لا يهتم، وهناك من يتابع ومن لا

يتابع فيختلط عليه الأمر فيغفل، فهي عرض متلاحم يحمل في طياته التجديد. وهي تتطلب إجماعًا إبداعيًا من الوعي بالأفكار فلا تنقل الإنسان إلى المجهول بقدر ما تنقله إلى الإثارة النفسية والذهنية، وإدراك الأحداث وتأجيج معايشته الاجتماعية لتصل به إلى بلوغ التصور المتكامل لأنماط حياته. فالكتابة وسيلة حية تعطينا حق المفاضلة بين مجمل ما ينبثق عن العقل البشري، لعلها تكون ملتقى، تتصدره كلمات تقديرية تكون بمثابة منحنى يتفوق فيه التبجيل الانتقائي من المشاعر والأسلوب والأفكار، فمن خلال الكتابة نعبر ونطرح ونعرض، ونتلاحم فكريًا وعقليًا، فهي ليست انفعالاً وإنما مبادرات خلاقة لترسيخ عامل الفهم وعامل الالتقاءات الذهنية، وهي خطاب موجه نحو أجواء التقبل، فهي مدخل رائع وواسع للثقافات والحضارات تتفتح معه آفاق الترجمات والعلوم والقراءات لتصبح عالمًا رحبًا لا يعرف الحدود من الإبداعات.

ولا تعبر الكتابة عن أفكار مجردة ومعارف مكررة وتجارب جامدة، بل تعبر عن ثقافة منهجية تهدف إلى التجديد والابتكار تنقل التواصل الإنسان ي بما يحتويه من معرفة.

نعترف إذن بأن الكتابة إبداع والإبداع ليس تشريفًا ولا مواربة مع النفس ولا تعاليًا على الغير ولا ترفعًا ناجمًا عن عصبية أو

غـرورًا وإنمـا هـي رسـالة يجـب أن تكـون محققـة للتـوازن بـين الهـدف وبـين الرؤيـة، فالكتابـة توثـق علاقـة توأميـة بـين الكاتب ونفسه والمحيطين به والمتفاعلين معه والمتأثرين به. والـذي يشـهد علـى هـذه العلاقـة زمنهـا الـذي يغـرز مـداه فـي مستقبلها، وكذلك مكانها الذي يرتكز عليه ثبات أدوارها.

تبقـى لـدينا إذن مسـألة الجـذب الـذي تتخطفـه ريـاح العـزوف، فالأجدى أن يقترن بالاستمالة المتعاطفة مع علو قامة الهدف، وبـالإغراء الـذي يتـأطر بحـواف الإبهـار وجماليـات الأسـلوب. فهـو جرأة وليس تجرؤ، وهو سجية وقدرة ذوقية وليس مجازفة.

القصور في فهم الحرية

كيف نتقي خدوش كرامتنا وآلام جراحاتنا وكل تحديات غزارة الروح وسوء المنقلب والذي نتوكأ على منسأته بلا ميلان طالما بقينا بلا إشهار لقيمة جدوى إظهارنا كبشر.

كثيرون منا تعترضهم عثرات الظروف ولطمات العلاقات المارقة فتجدنا إما سائحين في سكرات الإياب، أو متقلبين في مسخ من الانزواء والألم المباغت والذي لا يأتي إلا عندما تتأصل فينا حرارة التوتر ومرارة الضيق والتي هي أشد وطأة من تعرضنا لكف مسبباته، لأننا نتحمل وخزات التسكين بكل خضوع، ونتقبل مهدئات التأهيل بعضوية الطاعة لكي نستعيد تبعيتنا بكل وضوح لاتهامات التنابز والتجريح المقزز، لذا فإن أحوالنا تكون مائجة وفقًا لمعدل دوران يستمر بتكرار نفسه دون حاجة إلى إبداء أسباب عدم زيادته أو نقصانه، وذلك لكونه يستقر عند نقطتي الندم والخيبة اللتين لم ينفكا عن المرابطة على مستوى كبير من التأقلم مع قدرنا.

نصبر مرارًا ونكتم كثيرًا من دفاعات كلامنا والتي تجابه بحيوية الإسكات واستفرادية النبذ بسبب الامتناع عن فهم أن

حرية الكلام لها من الأحقية ما يبرر تعميم أجوائها لا تعتيم أحرازها لأوسمة التأثير والتوثب، فما تملكه من دوافع يتخطى أوبئة اليأس ويجتاز عاهات الصمم والعمى على محاولات التقييم. أصبحنا نقتات على تذليل قلقنا بعدم الاكتراث، ونتخلص من ضغوطنا بتحويل حال التوبيخ إلى نوع من الفزع النفسي والرد على فرضيات تفتقر إلى مخالصة الإيثار ورهافة التوجه. فخورون نحن بما نملكه وكثيرة تطلعاتنا، لكننا برغم ذلك التمتع إلا أن أحاسيسنا ما زالت تحتاج إلى إذابة أملاح كثافتها الفجة والمتخمة بفوقية التميز الغائر والتي غالبًا ما تحمل ضحالة أنانيتنا وتعاملنا بوافر من الحذر مع فروض الواجب أو حتى صياغة أساليب دورنا الذي يأخذ شكل النشوء البريء نحو ارتقاءات التعاطف.

لعلنا متميزون في صناعة ادعاءات التهوين وتسويقها بمجانية مطلقة لأن جسامة الحدث عند غيرنا هي أهون من قيمة من يخطر بباله أن يحدثنا بما يكمن أو يعاني، فنحيطه بوضعية الصغار ونجعله يترحم بكل عناء على ما سبق من زمنية التهيؤ للطرح، ما زلنا متمادين ومتعالين لا نأبه حتى بكيفية التخلص من اقترافات أقوالنا وحركات وجوهنا التي ليس لها إلا تعبير الإشاحة، والتي تتعب بظلم كبير من مسوحات قياس مساحات التعرج.

النص بين الاكتناف والإثارة

هناك صوره مبهمة مابين الأديب وبين المتلقي، وهناك وجوم مختلط من عدم الاكتراث واللامبالاة عندما تُلقى قصيدة أو تُقرأ قصة أو مقال، وكأن ما يُقرأ يحتاج إلى ترجمان لكي يفسر ما يكتنف ذلك العمل الأدبي من عدم الرضا والقبول، فالأمر يظل متراجعًا وغير مفهوم، ولا يشد موضوعه وإيقاعه أذن السامع،فهو يشعرك بأن حالة من الصداع تفتعل عند سماع نص من النصوص.. فهل يكتب الأديب لكي يعيش في نطاق دائرة نفسه فقط دون أن يستطيع إثارة عملية الفهم والتفاعل اللازمين حتى يبقى ذلك النص مؤثرًا طالما هو يكتب، وطالما هو يعبر عن فكر إنساني مادته وأرضيته هي حياة الناس والمجتمع ومشاكلهم وهمومهم وآمالهم وآلامهم.

حالة من النفور وعدم الإحساس بجمالية النص وفق سياقاته الثقافية، فلا شك أن النص الأدبي يعبر عن هوية وعن طرح جاد وعن وجهة تريد أن تشارك وتؤثر وتساعد على إيقاظ حالة الفهم والتثاقف، وذلك بإعطاء زخم من المشاعر والعاطفة والخيال،إضافة إلى تردد التأمل المطلوب والهدوء الذي يقود إلى جاذبية تلاطفيه بين ما يُكتب وما يُقرأ.

فالنص ليس أسرار ولا غيبيات تتلبدها غيوم التستر، وانما إبحارٌ نحو إيجاد قيمة لسيرة ذاتية مقروءة أو مكتوبة والتي هي تقع ضمن دائرة السيرة المجتمعية والحياتية.

يقول الدكتور أسامة عبد الرحمن في كتابه "الثقافة بين الدوار والحصار" : (ليس من الضروري أن تكون الثقافة الإبداعية ثقافة تدور في إطار القِلة، إنها ثقافة تخلقها القِلة أو تبلورها القِلة وتضيف إليها القِلة، ولكن من الضروري أن يكون التفاعل معها تفاعلاً يمتد على مساحة واسعة من المجتمع). ويستطرد ليقول : (وحتى هذه القلة لا تستطيع استثمار طاقاتها الإبداعية ما لم يتوفر لها المناخ الملائم).

فالمسألة إذن هي مسألة تفاعل مع نتاجات تطلقها المواهب، تحمل هذه النتاجات عنفوان مزحوم بالوصف الذي يعطيك مضمونًا رائعًا، فيها متعة ذهنية تفرز قالبًا إنسانيًا وفكريًا واجتماعيًا وثقافيًا ،لهذا فهي تعتبر تنمية لوعي الإنسان وتدريبًا على استقبال مجسات التحليل والفهم والاستيعاب، ولاجتياز ذلك لابد من معرفة، ومن ثقافة عامة، ولا بد من إطلاع، فلا يتوقف الموضوع عند حد الجفاء ولا يعزز أمر الطلاق ما بين نتاجات الموهبة وروافدها وبين شطآن التلقي والإعجاب، فالعلاقة علاقة أحكام وتوثيق صلة وارتباط لا يمكن التخلي عن فوائض عطائها ورسالتها، لأنها لا تنضب ولا تستحيل إلى عبثيه صاخبة ولا تغريب ممل يتعامل بإبقاء اللثام ملفوفًا على وجه التميز والتألق والازدهار الثقافي.

بيان الكلمة

تُكتب الكلمة وتنبري لكي تنطق بلغة بالغة الأهمية ألا وهي لغة الفكر، رائدها في ذلك العقل، وهدفها الوعي، وسلاحها الحقيقة. وعندما يملك الأديب تلك الكلمة فأننا نجده قادرًا على صياغة الفكر البناء مستلهمًا عطاؤه وانبثاقه من صميم واقعه بلغة جمالية مرونقة ومؤثرة. فالكلمة ما هي إلا تعبير يخدم فكرًا إنسانيًا راسمًا لمنهاج واضح وخطة للاستمرار في ترك بصمات تصر على العلو والسمو والنجاح، فهي تقوى لكي تبقى واقعًا منطقيًا يسود باعتناء الخضم من الممارسات التي تخرق عادة تحقيق الرؤى والصعود والعزوم.

فالكلمة تمثل الواقع والمنطق الذي ينظر ذلك الواقع، وتمثل التساؤل والإجابة، وتحمل الأمل والتفاؤل والحوار والرأي والطرح والنقاش والإقناع، فهي امتزاج يندرج ضمن لائحة الخواص التي تبعث على النبوغ والإشعاع، وبارقة توحي أو تحث على إتباع مسلك يعج بامتدادات الإنسان ومنافساته وإخفاقاته ونجاحاته وبحثه عن الحقيقة بكل تجريحاتها وإيلاماتها. لذلك تعتبر الكلمة أمرًا واقعًا، مرًا كان أم حلوًا، نتلمس فيه الرقي والتفتح كما نتلمس المكاشفة والصراحة من خلال سطورها.

والكلمة الحقة إنما هي روح مخلدة، لأنها دعوة للتغيير والجد، واتباع لمبادرات التبني القائم على مسوغات حتمية لقلب موازين المراوحة والثبات الرافض لخطى مسايرة الأحداث والتي تدعو إلى إيقاف عجلة النهضة والنمو وبناء المستقبل.

فالكلمة تنضح بالذوق والتحضر لأن ظاهرها يعتبر صورة طبق الأصل لباطنها، خالصة لا تعرف الرياء والنفاق ولا المداهنة، عالية وشامخة مترفعة خارقة لأجواء الانعطاف والانحراف وسفير فوق العادة تمثل زهوًا وكبرياءً خاصين لكونها إعجازًا قلميًا أو شفهيًا تبرهن بالصدق والمقدرة على كمالها، وبشارة تحيي القلوب التي أعمتها وألهتها صروف الابتعاد عن المعرفة والقراءة والتثقيف، فالكلمة مسؤولية تحط من شأن صاحبها أو ترفعه، تكشف عن وجه قائلها أو كاتبها إن كتبت أوعزت باستجلاب معاني الحرية والإقدام، وإن نطقت تفوهت بالأدب والفصاحة وذوق الحديث وحسن المخاطبة، وهي ميثاق وعهد لا يجتمعان مع الامتهان وانسلاخ النفوس عن وثوقها بذاتها، كما لا تجتمع مع ردم الضمائر واسترقاق السريرة، فهي حياد يتمنطق بالتنوير بكافة أشكاله فنيًا وعلميًا وفكريًا وثقافيًا وأدبيًا، وبالبذل الشجاع الباحث عن تضحية تعميم الفائدة دون مقابل.

إنها الإيجاز الذي يتفجر منه المعنى، والبيان الذي يتفاخر بالبديع لأنها حصاد معتمد وثمرة لا تستطيع الرياح أن تسقطها.

ولنا مواصلة مع مشهد آخر.

تصدية الريادة

يُفرق الأصل عن التشويه، والتمكّن عن التلقين، لا يتشابهان ولا يستويان مثلاً، فتلكما المقارنتان اللتان توزعُ أولاهما إلى موهبة وإبداع، والثانية إلى انحراف وإبهام، ولاشك أن الهبة والإبداع يعتبران مكملان لذخيرة عالية الهمة والاقتدار، أمّا الانحراف والإبهام فيتكشّفان عن تضليل يبدأ بمخالجة متدارية بالكذب على الناس، وينتهي بشيء من الإيهام والأنانية والغيرة.

وهنا نربط بكل تأكيد بين العمل وبين غرضه الذي أوجد من أجله، وصورته أمام الآخرين وأهدافه، فالأسلوب يكشف الجماليات، والأفكار تكشف العقليات، فنقف آبهين أمام أمرين: إمّا إبداع مؤكد أو خواء مقلّد، وحين يساق الماء بين الجماليات والعقول لابد أن نكترث بالتميّز والنمو، ذلك أن بين الأفكار والأسلوب مجال واسع للفهم والحكم على الكاتب أو الشاعر إن كانت ملكته محقّة في تفانيها أم كاذبة في تراخيها للسير ضمن قواعد المناجاة ما بين المبدع وبين المتواترين على متابعة كتاباته أو أشعاره.

إن العلاقة بين الموهبة والإبداع هي عهد قديم، فإذا كانت الموهبة موجودة فلا بد أن تتقاضى استحقاقها من الحرص الثقافي المسنود بالتوجه النفسي المبني على التأمل، وارتكاز القيم واتجاه التماسك غير المتخارج عن العنصر الأخلاقي، فالنتاج الأدبي تربطه مروءة الكلمة قبل أن تتجابهه عقد الاستغلال المرتمي في أحضان الشهرة بأي ثمن، خاصة إذا كان على حساب مثاليات الاعتقاد، ففكرة التخاطب يجب أن تدخر خصوصيتها الأخلاقية من بدائل المفاضلة، لا من تدبيرات المحاباة التي تسقط طواعية أمام الفضح، ودون استدرار لعطف يغرّر، أو لاحترامٍ يبرر، بل من الذائقة المعبرة عن فنيّتها.

إن تكريم الريادة الذي يحصل عليه بعض الشعراء، أهو إشادة حقيقية مستحقة أم انتزاع لأفضلية الغير؟ وهل تبرز من خلال تلك الجوائز والمسميات معايير مقنعة للتصنيف الإبداعي؟ فمثلما يخضع التصنيف الائتماني المالي لمعايير الملاءة والثقة وقدرة إدارة المخاطر، فان التصنيف الإبداعي يخضع أيضًا لمعايير اللغة كرمز للتواصل، ويخضع للخيال والتصورات وقوة التركيز ومدى اكتساب المعطيات المعرفية والخبرة والإدراك ورصانة الأسلوب والتأثير، وعليه فإن لكلٍّ مساراته وتوازناته، فتسليط الضوء على الامكانات المنسجمة مع ضرورات التغيير أفضل بكثير من أن نبخس حق من هم يشاركوننا عطاءات

المواهب، تلك المواهب التي لا بد أن تجد تمكينها الذي تفوضه رئاسات إعانتها على الاعتراف بتفوقها وكفاءتها، مبتعدة عن السمعة والمكابرة بما لا يتفق مع أمانة التجربة وأمانة إيصال مهام العمل الأدبي بكل شفافية.

إنها قضية هامت عيسها في بيد، فأضاعت منتداها، فوكزها مستقر التفرّج.

تعاقب الحضارات

إذ إنني حين أتطرق إلى إفادات الشواهد الشامخة والتي تمثل حضارات سادت في زمانها فكانت أعجوبة من الأعاجيب وأمثولة من الأمثولات امتدت إلى ما نعاصره من حاضر، فأن قصصها تزخر ومنعتها تتلى بآيات القدرة والتجبر والعنجهية، ربما لأن كل حضارة تتصور أن زمانها الذي تعيشه هو زمان الخلود واللا انتهاء، الصلابة لا التفتت، القوة لا العجز، لذلك كانت تتغاضى عن مظاهر الخوف والتراجع والكسل فلم تكن تعترف إلا بالتحدي والطغيان الذي يستند إلى تسخير الإنسان تسخيرًا تبعيًا، فما كان له أن يتكلم أم يمتعض، ينقاد حاملاً فوق ظهره أحمال التكتم، هؤلاء البشر المسخرون هم بناة الحضارة الحقيقيون.

وهنا أخلص إلى أن حقب الإبهار الحضاري هي حقيقة لها أجيال ممتدة.

الأفكار موجودة، والعقول واعدة، ولكنها لم تكن تكفي وحدها لإيجاد حضارة دون استجابة بشرية قسرية آنذاك رغم الظروف الصعبة.

إذ أنني أعرض ذلك، فإن المواهب تظل عالقة بأصحابها، لأن من الطبيعي أن نجزم بأن الإرادة لا تتجزأ، كما أن الإبداع هو الآخر لا ينبع من فوضوية التشتت، فإذا أراد أن يستقيم للإبداع أمرٌ فلا بد أن تكتب له أساليب التمكين الخارقة للعادة.

وبعد ذلك كله أجد أن أعمدة أبنية العجائب تتصاعد منها أنفاس التباهي في أروقة الرخاء ترديدًا لمقولة التوثب والعلو التي اقتضت تشييد الحصون حفاظًا على حالة الاستخلاف.

ويبقى تعاقب الحضارات أيضًا شاهدًا على حب البقاء.

تواكب الجدارة

الجدارة رديفة القيادة، بل هي الجانب العملي والفعال والأمثل للقيادة، تحمل في طياتها عناصر النفوذ والتأثير وكافة القدرات العقلية والمهارات المعرفية، وبالتالي فهي سلسلة من السلوكيات والقيم والخصائص التي تجعل من الشخص قائدًا مستندًا إلى عوامل اتخاذ القرارات وتحقيق الأهداف ووضع الخطط، مما تمنحه القدرة المعنوية التي يستطيع من خلالها تحفيز مجموعه من الناس على أداء مهام وأعمال معينه تخدم أهدافًا محددة.

فالجدارة إذن هي مجموعة صفات وسمات ترتبط بالكفاءة والانضباط والسلوك المبني على استقامة التعامل، وعندما نقول إن هذا الشخص جديرٌ بالثقة وجديرٌ بأن يكون على رأس عمله،فأن ذلك يعني أن له أهلية الأداء وفق مرتكزات الفطنة وسعة الخيال والثقة والجرأة والمبادرة، مما تجعله يحشد القوى باتجاه تحسين الأداء،وتلك المرتكزات تستند إلى قياس أدائه من خلال معاييره السلوكية، ومن خلال إنجازاته العملية والمتواكبة مع قدراته الذاتية النافذة والمتمكنة على

الخلق والإبداع في مجال عمله وفي علاقاته مع الذين يسودهم، وهذه القياسات عبارة عن تقييم مبني على مراجعات محددة متتابعة يقوم بها لمراجعة سلوكياته، لذلك إذا أردنا الإنجاز علينا أن نتحفز بالدوافع ونتشبث بالمواصلة ونتسابق بإصرار نحو ما نريد أن نفعله.

كلٌ منا يملك قدرات وإمكانات، ولكن من منا يستطيع تشكيل ما بداخله وتسخيره نحو تحقيق ما يصبو إليه؟. نحن نعلم أن كل إنسان ميسر لما خلق له، ولكنها لا تدعو إلى الخنوع والتباطؤ والتردد وتلكؤ الإقدام، فالإنسان يملك قوة واهبة للارادة، ويملك رأيًا مرفرفًا، وعليه أن يبني من ذلك الرأي موقفًا ثابتًا لا يحيد، والأهم من ذلك أنه يملك قدرة على اكتشاف مواطن الخلل الذي قد يعتري مواقفه المبنية أصلاً على قناعات مستوحاة من استنباطات مدروسة ومكرسة لأن تقول كلمتها بكل ثبات مفهوم وواضح.

وليس المقصود بالمراجعة السلوكية أن نراجع قيمنا وأخلاقياتنا، بل نراجع أداءنا وأفعالنا بكل موضوعية وبكل تناسق يتفق مع طروحات تلك الأخلاقيات وتلك القيم، مما يساعد على توضيح الرؤى وتكوين آراء وبناء مواقف.
ولا يكون الأمر كذلك إلا إذا اتشحت بوشاح الرغبة في المشاركة والرغبة في العطاء والبذل، وما يفرضه علينا

معترك الحياة من متطلبات تدعونا إلى تقديم دعم مسنود بالجرأة والمبادرة، فلابد أن نحدد أهدافنا جيدًا، وأن نتحوط بثوابت القيم، وأن ندرك أهمية الوقت كعامل حكمي يحمل حديّ المنفعة من جانب والضرر من جانب آخر، فإذا أحسنّا استغلاله كان عامل منفعة، وإذا أسأنا استغلاله كان تجاوزًا وانفلاتًا نحو العبث والتراجع والفشل.

لهذا علينا أن نتعامل مع مسألة السلوك كعامل متكامل يخضع لضوابط المنعة والعفة والعصامية لكي نبقى حائزين باستمرار على جائزة التفوق النفسي والتآلف المجتمعي الذي يجعل علاقاتنا مع الآخرين تنطق بالنزاهة والتواضع والرقي فوق إخلالات الاستهجان والانتقاص والازدراء، فلعلنا نرقى بأنفسنا نحو سيادية عملية تتعالى فيها صفات الجدارة الشخصية لكي نستطيع أن نقود أنفسنا أولاً، ونقود الآخرين إلى بر الطمأنينة والتعايش والوفاق ثانيًا، ليتحقق لنا الوئام الذي ننشده نحن وتنشده الأجيال من بعدنا.

حُلَل الموهبة

حين تبرز العطاءات وتمتد في مساحات تنبت بقطفات من المواهب والإبداعات، فأنه يلزمنا أن نتلذذ بجماليات خارقة للعادة لنشتم فيها عبق السلاسة والعذوبة متذوقين عوامل الرقة وصفوة الخيال.

حين تبرز تلك العطاءات فأن جُلَّ طموحنا أن لا تتوانى عن طرح موضوع التمازج الروحي والتقابل الشعوري، ذلك لأن الأرواح تتلاقى أكثر فأكثر حين تسمع همسًا تناغميًا يُعبّر عن نفسه بكلمات التودد والتلاطف وتحميل مكنونات الرهافة والأحاسيس الصادقة والاختيارات المتواردة.

إنها تسبح فوق غزارة البحيرات الحالمة والمداخلات التي تحتمل التأمل والاتساق والتألق. فالإبداع لا يرهن نفسه في كينونة التوهم والانحسار التفاعلي، فهو كلٌّ لا يتجزأ، وهو لا يكون صادقًا وكاذبًا ولا باذلاً ومبتذلاً في نفس الوقت، فالتجاوب يعلق آمالاً كبارا على الوفاء الكبير الذي يتخلق بخلق المبدع، لا يعرف عنه المداهنة ولا المواربة وحب الظهور فهو وفيٌّ صدوقٌ مع قرائه ومتلقيه، يكشف عن نفسه حين

تكون هناك فرصة للوضوح والمكاشفة وتحقيق الذات لكي يمكنها من التواصل حين تكون هناك حاجة جادة تُسمع وتُعطي وتهب وتتلقى وتستشعر إفاضات التأثر والحُلَل المزينة بالإعجاب.

فالموهبة إنما هي قيادة فذة وواثقة تجعل من أسلوبها فضاءً ممتلئًا بالتدفق ومَعلَمًا من معالم النضج والتفتح، محققةً هدفًا أثيريًا يسمو بالجرأة والمبادرة وسعة التفكير.

خفقان البدايات

الحديث عن الشعر والأدب يتواصل ولا ينتهي، ويمتد ولا ينقطع، ما دمنا نسلط الضوء دائمًا على مشاهده المتفيئة تحت ظلال المتابعة عن كثب يقترب كثيرًا من حدث التواجد الثر والمكتنز.

حديثنا هذه المرة عن البدايات؛ بدايات النظم والكتابة والمشاركة الأدبية،فهي تعتبر سردًا مدروسًا ،وتاريخا تفوح منه رائحة البراعم وكأنها علامة خارقة تزين ساق الإبداع الشامخ، تعلن عن بروزها بكل جرأة وثقة،تتفوق فوق جراحات قطع الطريق والإحباط وكل اقترافات التآكل والاستهزاء.
فبدايات أي مبدع تنبئ عن محاولات متواترة لها بذرة موجودة في عقلية وتركيبة المبدع. تتفتح زهرتها بالرغبة والميل نحو إبرازشيء ما موجود داخل الروح، والذي هو عبارة عن أحاسيس مخزونة تود أن تأخذ فرصتها بالبروز والفيض بطريقة تجعل علاقاتها مع الناس علاقة وجدانية سامية بحديث المشاعر، فالبدايات صيرورة تتخذ من مرور الأيام صقلاً وتشذيبًا وإصرارا، دافعها البناء الثقافي وسيرها الحضور واثبات الوجود

من خلال مساهمات تعرف عن نفسها بأنها ولادة طبيعية متوجة بالموهبة،فلابد من اقتران ولادتها بشهادة ميلاد تأصلها المبنية على رهافة الحس، وفرحة لا توصف عندما تبتدئ بمضمون نجاحها ، فهي نبوغ ذاتي مبكر وبسطة في علم يتميز به المبدع عن غير المبدع، فالبدايات رجحان ما بين وضع راهن وبين التميز.

كل البدايات تحتاج إلى وقفه خارجية مصاحبة؛ مشجعة جادة وصارمة من اجل انطلاقها بخطىً تجديدية تتولى أمرها كلمات التبني والتوجيه وانتشالها من بند الإخفاق والاستيقاف والتردي النفسي إلى بند الصعود وتحقيق الأحلام واقتفاء رجاحة القرار، فهي ليست رغبة وحسب، بل تأمل واندفاع نخبوي واتجاه نحو إفصاح يختاله الأسلوب من جهة والفصاحة من جهة أخرى، فلابد للبدايات من تواجد واثبات ذات وسط نتاجات متناثرة كثيرة في الساحة الأدبية؛ منها الغث ومنها السمين، ومنها ما أساسه مكين ومنها ما هو مبني على رمل نافق.

فالبداية تمثيل ذو أبعاد شعورية معززة بالتواصل الروحي والثقافي والأدبي، فهي إنشاد لسيمفونية الحلم والحقيقة وبقاء منتصر موهوب، لا ضمور مستتر مندثر، مع الحفاظ على إمكاناتها التي تنتظم عمق الثقافة واعتلاء أكف الأداء والضمير في رسالتها ، لذا فهي قوامة خاصة يتيح لها الإلهام أن

تعتلي سلم التحليق في عوالم الإنجاز والتوارد والتأثير والتأثر لتكون وسطًا ما بين الموروث وبين التجديد ، وانفرادًا في قدرة إخراج الحبكة التوافقية على أساس من العطاء المستقل لتكون مودة غير مسبوقة ما بين الأديب والمتلقي.

فالبدايات هي خلوة مشروعة مع الرؤى والأمنيات والتطلعات.

سمو الريادة في فضاءات الالتزام

لن يستكين الإبداع ما دام هناك أفقٌ من الاستجابة والقدرة والكفاءة، نتعامل مع حالات الاستثناء بكل ثقة وبكل تواصل وفتح قنوات التفاعل، هذا التفاعل يعطي آمالاً كبيرة من طمأنينة التواجد وتقمص أدوار الاهتمام بالعطاء، لابد وأن ينصب الاهتمام بالعطاء، لابد وأن ينصب الاهتمام على نطاق التحسين وعلى نطاق التطوير، لعل تلك الأمثولات تدخلنا في عنان المتانة التي تفترض منا أن نستجيب، نتكيف ونثبت وجودنا من خلال اقتناص فرص الريادة في ميادين التآلف الإبداعي، فكل مبدع ليس وحيدًا في الساحة الثقافية، وليس إبداعه هو الفريد من نوعه، وعليه أن يتيقن بأن التقليل من المواكبة ينذر بخطر محتمل، وأن انشغاله عن مجاراة التغيير لا يعطي تطورات ولا يثبت قدمًا بعد انزلاقها.

وعليه أن يعي بأن الإبداع جزءٌ لا يتجزأ من فكره وإنسانيته ومعرفته ومن آرائه ومواقفه.

ولكن تبقى مقولة كيفية بث النشاط والفاعلية في تأجيج الرغبات التي تعرض كيف تسمو وتثير دوافع الاهتمام

والطموح، فالمبدع عليه أن يقتنع بأن لديه رسالة تتوافق مع الغرض من وجوده ممثلاً بإبداعه، وأن لديه رؤية وخيال يرسمان له صورة المستقبل، فنقاط القوة هي التي ينبغي أن يستنفرها المبدع، ويضيف عليها بصماته وفكره من خلال عمل مميز يتسم بالتفرد أسلوبًا وفكرًا وخيالاً وموضوعًا، إنه شيء منعقد في طاقة المبدع الداخلية وتجاوزه لحلقات التهميش والتعطيل والترديد غير المجدي، لأن التميز يتعلق بالدوافع، والدوافع لابد وأن تثبت أحقيتها في التآلف والتفرد عندما تستطيع أن تتجاوز أسباب نكوصها وتراجعها، وتبني لنفسها برجًا من الترابط الذي يجمع كل الأجزاء في كلٍّ من واحد، ألا وهو شخصيته. فالفتور يقضي على الإبداع، وعدم التواصل يقضي على أزمنة الاقتراب من مسافات التفعيل الذي لا يأتي إلا من خلال تتبع مجريات الالتزام وصدق التوجه وفق آليات الطرح الجاد والمسؤولية الراسخة ما بين شخصية المبدع وبين قدرته الإبداعية.

هناك نعوت قوية من أسباغ الثبات وإحلال المزيد من توافقية التوقع لبلوغ بر المستقبل الآمن والذي تبني عليه أساسات العطاء والتأثير ورسالات الفعل المسئول والجاد.

وذلك مبلغنا من علم يسمو في فضاءات الالتزام والتحديق نحو أهداف موجهة.

غاية التاريخ

يمكنني وأنا أقرأ التاريخ، في خلدي تحضر الأزمنة ويختلط الحدث، وتتسابق الأرواح نحو احتضارها الذي أبكى مساحيق الأرض حتى انزوت دموعها، فغيضت تختزنها انشقاقات الوهم والطموح الميت والأمل المهجور، إذ لا فائدة تُرجى؛ كما يقولون؛ من التقاتل ولا التنابز، سوى تمزيق الرغبات وتقطيب الجبهات والحرمان من العيش، فقد تجمدت تجاعيد الوجوه فباتت رتوشها هي حقيقتها، وحقيقتها باتت قابعة مسمّرة، تعبة وقد أرهقتها دهسات الفارين من أتربة المعارك التاريخية.

مرة أخرى، ولأن الحدث انشطر نصفين، كل شطر يمتثل للآخر وكل شطر يعوذ بالآخر، لأن الخطايا هي الخطايا، نصفها هنا الآن ونصفها هناك آنذاك، والحدث مازال واحدًا، فالاقتتال تموت معه الضمائر، والاستماتة هي الاستماتة.

نقول إذن إن الواقع يعوذ بالماضي، ربما يكون الماضي مختتمًا تتمة حضورنا وواقعنا وإرهاصاتنا ونهاياتنا، فليس لنا سوى التأسّي.

أقول ذلك، لأنه يمكنني أن أسرد ما عناه التاريخ عندما تكلم عن الشموخ والنخوات والكرامات، وعندما تكلم عن الاستبسال رغم الاغتراب، وعن الحضارة رغم الاستلاب، وعن الدوافع عندما تتألق.

يرتبط الحدث بالهدف، فالتاريخ إذن ليس تمردًا، ولا هو فوضى، لأن من يصنع الأحداث هو الإنسان وفي الوقت نفسه الذي يبني ويصنع الحضارات هو الإنسان ، فكأنني أقول إن أحداثنا التاريخية هي من أجل البناء طالما كان طموح الإنسان ينحاز نحو تبني الرغبات والاقتتال يقوده إلى بر الثراء.

فمهما كانت الوسيلة يكون المهم هو البقاء.

قرائن النية

تقف بين الفعل وعدم الفعل أمورٌ مشتبهات، فالفعل يقع في بوتقة الردع والصدع والأمر والنهي، وعدم الفعل يستدركه التوجس والرفض والقبول، ونحن بين هذا وذاك نقع بين شقين من الإدراك، إدراك دافع يسير في خيلاء الواعز، وإدراك مانع يتراجع في قبضة الوازع، لكن ما يحكم السلوك والتوجس هو مدى دافعية النية، هل نبادر أم نمتنع؟ وهل تتساوى لدينا درجة الأحاسيس والتركيز عندما تحتدم فينا ضغوطات النفس التي لا تمر غالبًا بأمر النوازع والأهواء، كل نحاسب عليه بيد أن مجريات النتائج هي التي تحكم على تلك القرائن.

كيف نوازن بين أعمالنا المرتبطة بالنيات وبين ردات أفعالنا المساوية لأفعالنا في المقدار والمغايرة لها بالاتجاه حسب الطرح العلمي. وهنا يقفز في أذهاننا التصور المبني على إحياء عامل التقييم واستجلاء المعتقد، أي أن يستقر فينا ما يسمى بالجانب الداخلي للسلوك، هي الاتجاهات إذًا، التي تختلف بيننا نحن البشر، لكن قناعتنا هي التي تفرض علينا ما إذا كنا نتكيف ونرغب بالتغيير والتحول أم لا، وهل هذا التحول يدفعنا على النمو مناشدةً لارتقاء النفس.

فالفعل هو ساحة تجمع تتظاهر فيها مشاعرك ومعتقداتك واتجاهاتك لتخرج منها خلاصة توجهاتك. نستطيع أن نمثل تلك التوجهات بالبوصلة التي تتحرك تبعًا لدافعيتك، أو لنقل مرة تنكمش وتتراجع ومرة تزداد، ويكون محركها هنا هو توافق ردود فعلك مع ما تكنّه نفسك إن خيرًا أو شرًا.

وهنا تتوازن لدينا أهمية الدعامات الذاتية بما تحمله من إيمان ومن استقامة وتربط ما بين التسليم وبين صدق التعامل بما يجعلنا أقرب إلى المناجاة منها إلى المراءاة، وأهمية ذلك تكون خلاقية، فإذا أمنْتَ فارتقبْ وإذا ارتهبْتَ فاحتسبْ، وما بين الصفاءات والوساوس يقع الردع والصدع والأمر والنهي؛ كما قلنا آنفًا، أو بتعبير آخر الحض من جهة والدحض من جهة أخرى.

إذن يعتد الإضمار مع الانقباض والإخلاص مع الانفراج، ذلك لأن الإضمار ينطوي على تبييت، والإخلاص ينطوي على تدعيم وإيضاح، فالتبييت مساورة، والإخلاص محاورة، فلابد من تطابق الشكل مع المعنى لتحقيق أمر السكينة ما بين الشك واليقين، مما يساعدنا للقضاء على ريبة النفس، ومما لا يدعنا أيضًا نقع في ظنون مريجة المداخل والمخارج، لهذا إن أي تفاوت ما بين الشكل والمعنى يعتبر هزة من هزات بناء الشخصية ذات درجة عالية من الرجفات.

فإذا ما استمر التناقض وتناقص الإيراد التوازني للنفس فإن ذلك يقع ضمن خروقات تحتاج إلى مراقبة وسد ثغرات وتوفير حشود حمائية تدافع عن شأن الفطرة وعن انفلاتها المتوقع.

قوامة الحسم

يتسق التخبط مع الفوضوية، ويتوافق التحقق مع التعقل، وما بين التخبط والتحقق يثار موضوع قطاف التعامل، إذ ليست المسألة حدسًا تورد إليه إبل النتائج، ولا هي تكهنات بات حسمها لصالح من يمارس الفوضوية، بل هي نسق نصل إليه بالحنكة ومقارنة المستجد بالموروث والمستحدث بالتجربة، وإنْ نحن جردنا قلوبنا من مسوغات التصدي المحتوية لإثبات كياناتنا ولو باستعمال دعامات التسلط؛ فأننا نسير مع حوارات نبني من خلالها معمارًا من حسن التدبر يعبر عن شموخ يناطح سحبًا من انفلات الأمر وبذخًا مفرطًا في توجيه ضربات موجعه تصعق مرتادي الشوارع الذين يريدون أن يحققوا حلمًا عاشوه حين انبثقت من وعيهم سهام الحقيقة. فالصراع بين الحقيقة والتعتيم لا تعبر عنها حاله التصادم فحسب، وإنما دوافعها التي تعبر عنها حالة التصلب في الرأي وممارسة فرضية سلب حق الاختيار والذي هو يبقى عاملاً فكريًا يمثل بداية التداول بالاحقيات ونهاية التفاضل بين استنبات الحلول، فمعه لا يخبو الإنسان في غمرةٍ مع الساهين مادام يتفوق تكريمه بالانتماء

الحقيقي على ترويضه كغوغاء خاضع. فإذا كانت الفوضوية تعتنق الشدة المستحكمة بالتوعد فأن التعقل يلتزم البرهنة الناطقة بحروف الهجاء المانحة لطلاوة الكلم.

فإما كبح وإما وفاق، وهذا قول يجعلنا نقتنع أن الصرخات التي نسمعها تتفاعل نراها ترفض وصاية تثلم إرادتها وتقضم كرامتها، فإن كانت الوصاية سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية فأنها لا تصلح أن تكون مرساة تربط بها ألسنة من يكونون أهم ركن من أركان الدولة، إضافة إلى الإقليم والسيادة.

فالإرادة لا تُحتقر ولا تتآكل، والكرامة لا تُنتهك ولا تبتلع، والذي يربط بينها وبين الإنسان هو تقلبه الدائم في أحضان حريته التي ترفض الوصاية وترفض الإتلاف الذي يميّع مسألة الاتفاق والاختلاف على منتهيات مسلماتها المبتدئة بالاعتراف والتأكيد المشرّع، والمنتهية بالإقرار والحماية من أي تجاوز يقوض بنيان ممارستها.

نقول إذن إن ما بين الفوضوية والتعقل ترنيمة طال عمرها تبحث عن آذان صاغية تزيح التفاقم وتستجيب للإعراب عن معلنات حفيظة التهدئة.

مد الطبيعة

الطبيعة، ذلك المد الصعب الذي يكاد يغرق الأرض بمستحيلات فهمه وتسجيرات غضبه، لعله بحيويته تحدٍ كبير لإثبات مدى انطباق فرص الإنسان مع المشيئة.
تارةً تهدأ الطبيعة، وتارةً تثور زلازل وبراكين ورياح عاتية وانهيارات رملية وانهمارات طينية وفيضانات تؤجج فصول العلاقة الجانحة وغير التشاورية التي يقوم بها بنو البشر لإجهاض هدوء الطبيعة.

لا تستجيب الطبيعة بسهولة، وكيف تستجيب والإنسان يهلك الحرث والنسل من إلقاء القنابل وإطلاق الصواريخ والزحف اللامجدي لتعزيز قدرة الانتقام العشوائي الذي يخلو من محظورات جدوى إطلاق اليد دون التماس احترازي للمروءة.
يتكلمون عن الاحتباس الحراري وعن تفتقات طبقة الأوزون وكل ما يسبب زعزعة التجاوز على هدوء الطبيعة بما تضمه هي من بشر فوق قشرتها وتحت قشرتها، فمثلما تثبت بالرواسي الشامخات؛ فقد تجهزت بالكنوز والثروات، وقدرة الإنسان إزاءها نجدها منضبطة مكتوفة الأيدي في مواقف عدم حسبان

المواجهة أو المجابهة.. إنه نقض لعهد الطبيعة، ووضع لا يتفق مع التبجح والتباهي بإتمام الاختراق المستمر الذي يتوهم أن لا صمود للحواجز أمامه ولا الطبقات من تحته.

ورغم ذلك الضعف أمام ذلك المد، نرى الإنسان يسعى إلى إثارتها وإعمارها واستغلال ثرواتها؛ ثم يتهرب من دفع استحقاقات مردوداتها بالذي يجب أن يكون، فإذا ما ازدانت ازداد إمعانًا بالريادة، وإذا ما انتفضت ينسى أنه لا يجيد إلا الاستسلام لقوانينها التي تتصدر الذهول بشتى وجوهه الملبدة بالأسرار.

وكفى بالإنسان أن يعلم أنه وافد له توقيت قدري محدود، فهل يطيق ضمن تلك المحدودية العمرية أن يرهن قدراته لتعزيزات طغيانه رغم قناعته بأن التأقلم يجب أن لا يكون متضادًا مع استغلال كرم الطبيعة، بل أن يكون تسخيرًا مشروعًا منها يلتئم مع ما تبذله الطبيعة نفسها لاستمرار التحرك ضمن آفاق عطاءاتها وتقصي سبلها.

فهل سنكون محرومين من تلك الهبة أن نقضنا عهدها؟ أم نستسلم لثورتها أن تجاوزنا نطاق المشيئة العادلة التي تتسم بانتظام الغيث والزرع والفيء والريع؟.

مردّ العالقين

من الأوْلى بالعيش ومن الأوْلى بالموت؟.. أهم الفئة الغالبة أم المنهزمة؟

لا نتكلم هنا عن التطاحن بين قوتين، وإنما نتكلم أيضًا عن الهاربين من جحيم ذلك القصاص، ففي أغلب المعارك هناك ناظرون ومنتظرون، يتوقون إلى إنهاء القتال أكثر من حرصهم لمن تكون الغلبة، فهم العُزّل والنساء والشيوخ والأطفال، وهم الساعون نحو استقرار يقوي فيهم عزائم تجميع العلاقات بينهم وبين سد الرمق، لا يجدون إلا الوقوع تحت رحى حد الفقر والذي يقاس بمقدار دولار واحد الآن، فكيف يوفقون بين حمل أمتعتهم هربًا من الحروب والتجاوز اللاأخلاقي،وبين استكانتهم في مسكنة اللظى والفاقة.

فأينما يولون وجوههم فهناك ملاحقات عارمة تنشأ من رغبة جامحة للقضاء على معاقل المتمردين في بقاع الأرض.

إنهما فئتان: المحارب والمرتزق، والغالب والمغلوب، لا يبقيان مثلاً لتقدير الإنسان وسمو شأنه واستجلاء إكرامه، إنها ضرب من ضروب الحماقة، هذا ما يبدو، فالتمرد يظن أنه ينطق حقًا

ويزاول ممارسته بالقوة، والأقوياء يظنون كذلك أن بإمكانهم ربط الحياة بالأمر الواقع، والحلول بالفرض القاتل..

معادلة حلها يكمن بفهم الأهداف والأغراض التي توحي لنا أنها مشروعة، ولكن الذي نفهمه هو عدم وجود مبرر قتال مشروع يذهب ضحيته أبرياء لا يلوون ألسنتهم سوى ببضع لقيمات يسيرة تعين على التشدق بالوجود تحت مأوى لا يستر جسدًا ولا يغني من اللهب.

فأي مبلغ بلغت ذرائع الإنسانية التي تقوم الآن وتصول وتجول على أشلاء البشرية وتشريدهم والتمتع بوضعهم فوق سندان السحق، فلا موت كريم ينتظرون، ولا قرار نافذ يستطيعون، هذا قدرهم الذي قدر لهم.

فهؤلاء هم الفئة المأخوذة بالنواصي والأقدام، العالقون.

ربما حكمت الأعراف أن يكونوا هم الأولى بالتحجير بالفقر والفاقة والموت في آن واحد؛ حسبما تدل الشواهد وتعترف الأحداث، لكنهم يظلون الأكثر استدرارًا للرعاية وأوفاها مردًا نحو تبني خلاق الاستجارة معهم.

مسؤولية التفكر

إذا كان العقل هو ما يؤول إليه وجودنا، فإننا نعتبر التجارب ميدانًا تقادميًا لهذا العقل الذي يظل بلا تهاون يحقق لنا الحكمة والاستدلال والبرهان بأزمان مفاضة من خلال قياس التمييز بين الخير والشر، وبين الخطأ والصواب. فنحن نمتلك تفكير ونمتلك رؤى تفكرية عالية الجودة، ولكن يستقر الأساس في تصرفاتنا التي تأتي مجلجلة بناءً على معتقداتنا، فما نكنه في أنفسنا وما نؤمن به يكون متفقًا مع أفعالنا، وهنا نقول إن النية تصنع الفعل.

ولكن كيف تتفق تلك الأعمال والأفعال مع الشيء الصواب الذي يجافي الزلل؟.. وحتى نحقق ذلك ينبغي معرفة مدى إيماننا بالمبادئ والمعتقدات لكي نعلم أن هذا الإيمان هو الأصل الذي يستوطن ويستقر في عقولنا وقلوبنا بما يتماشى مع حكمة الدليل الذي يمنح أصالة تلك الحكمة رسالتها القائمة على ركائز الحقيقة. الحقيقة واحدة، ولكن الاختلاف هو في منظور الناس إليها، ومدى استجابة إدراكهم لما تبطنه من محاور الثبات والقدرة والرصانة والحجة البائنة.

وبيت القصيد هنا هو كيف يستدل الإنسان على استقامة الرأي والاعتقاد، وعلى إشعاعات بريق الحقيقة القائم على ما يبثه الفكر. وليست تلك الإشعاعات فرصًا آنية متذبذبة ومتلاشية، بل هي استخلاص متصل مع الذات وقدرتها مبنية على القياس الذي يمكن الإنسان من التقاط البدائل.

والبدائل هي اختيارات يتم تقييمها وتحليلها وفق تدرجات ظرفية للمسألة المثارة، وحين تُثار المسألة؛ تثار معها أنفاس الإلهام الذي يأتي بالفكرة الواعية الصائبة، وتنتقل عبر الإدراك والفهم إلى فعل يستطيع الإنسان أن يتعامل مع أقرانه على أساسه من حالة مرضية إلى حالة سوية، ومن حالة الشر إلى حالة الخير. نقول هنا إن التفكر والتدبر، ولا مجال للشك أن الإنسان مسؤول عن قراراته وعن سلوكه وأفعاله، لذا فإن تلك المسؤولية تفترض الامتثال لعامل التفكر، فيطلق العنان لعقله الباطن في أن يستمد صحوته من الإلهام، لأن الإلهام يثير الإنسان عاطفةً وروحًا وعقلاً.

الفرق بين إنسان وإنسان هو في القدرة على استحضار الإلهام، وفي ولوج عالم الحلم الذي تنبثق منه الإبداعات الشخصية ويؤكد تزامن العلم والعمل والفكرة والاستدلال، لكي تفرق بعدها بين مبلغ العلم وهوى الظن دون عناء أو مكابرة.

فالمسؤولية هي حرية خاصة تقع ضمن منظور التأمل والتمحيص وتفعيل تحكيم العقل.

معيار الموقف وأمثلية المبدأ

حين يقوم مفهوم البرمجة اللغوية العصبية على أساس إعادة برمجة العقل أو الدماغ باستعمال اللغة؛ سواءً لغة الحواس أو لغة الكلمات، فإننا نقول بأن الشخصية لا تستقيم إلا بإعادة برمجة الذات بواسطة الضمير. ولا نتوهم عندما نقر هذه الحقيقة، لأن شواهد عدم الثبات على المبدأ تدل بإمعان على ضرورة تبني معادلة التوازن بين الشخصية وبين الالتزام.

وإذا كانت البرمجة تعني القدرة على تنظيم المعلومات داخل أجسادنا وعقولنا، فإن قيمنا الثابتة هي ما يجب أن نبرمجه ليكون دافعنا، لكي نبني بواسطته حوارًا موضوعيًا مع أنفسنا مدفوعين برسوخ العقيدة، ورصانة قدرتنا المعنوية والأخلاقية.

وعملية التحول تلك، لا تتطلب منا سوى وقفة صدق وصبر ومرونة مع دوافعنا، مضيفين صفتي الالتزام والانضباط إلى الكل الذي لا يتجزأ، ألا وهو الشخصية، لذلك لابد وأن نستوقف أنفسنا ونفكر مليًا ونقارن مستنفرين تفكيرنا، لمعرفة مكامن الخطأ وبوادر الصواب.

إنها عملية تقييم لقياس مستوى تحركاتنا، ومعرفة مدى انحرافها أو انجرافها، فأداؤنا لابد وأن يوافق عقيدتنا، وسماتنا لابد وأن تتوافق مع ثوابتنا الأخلاقية. فالمسألة مسألة قناعة عقلية تقود إلى قناعة شمولية ذاتية ونفسية، وإذا ما توصلنا إلى تلك القناعة فعلينا ألا نتأخر في تنفيذها وتطبيقها، رافعين شعار التوجه المطابق لتلك القناعة، والتي هي بحد ذاتها رافد عذب ينبع من الثقة بالذات، ومن الرغبة في تأكيد تلك الذات من خلال عطاءات مقرونة بالإخلاص وبالمصداقية وإذا ما فهمنا دوافعنا ومارسناها بكل أناة ودقة فإن الالتزام يبقى عشوائيًا، إن لم يعزز بالاستمرارية ومواصلة العمل المتفق مع الفكرة، وهذا لا يتأتى إلا بالقدرة على التحكم في النفس وبالمواءمة.

فالإنسان يتوسم النجاح في تخيله، ويتوسمه في قراره، كواعز للتغيير والرغبة في تحديد معالم شخصيته ونقلها من الهامشية إلى الفاعلية، فميزة الإنسان الناجح هو أن يرقى بصفاته وثباته ومبادئه، وأن يحس بالمتعة مع هذا الرقي، فهي رغبة بالنجاح، رغم العثرات وتقافز العقبات.

ولكننا نعود لنقول إنها الاستمرارية والمواصلة المعززة بصدق التوجه، والتأمل الذي لا يليق به أن يتراجع أمام انكسارات الفشل، وأن تكرار المحاولات أمر حيوي، وتحد طموح لإيصالنا

إلى حياة تنعم بلذة النجاح، ولا يكون كذلك إلا بالمثابرة التي تأتمر بأمر العزم، لأنها تعطي النشوة ببلوغ حياة فاضلة تعني بالحرية مع توفر شرط الانسجام مع أمانة الانتماء، وبالحوار مع أمانة الطرح، وبالوثوق مع أمانة الاختيار، وتلك هي الطاقة الحقيقية التي تحرك فينا سكون الأمر الواقع، إلى موهبة القوة والحكمة وحنكة إبداء الرأي دون مواربة أو تشكيك أو تأثير. فالشخصية هي مبادئ، والمبادئ ما هي إلا استحكام يستخلص فتواه من إعادة برمجة العقل نحو الأمثلية، وكذلك من خلاق الضمير.

إنها تطلعات لها قرار جريء ومستقل، وحوافز تلقى صدىً تجاوبيًا في تركيز استقامة الرجال وبناء الهمم، ولتكن تلك التطلعات معيارًا سلوكيًا يبرز دور الإنسان أمام الآخرين.

مهام الوقائع

قبل أي اشتباك حربي بين فئتين أو بين فئات عدة، هناك ذرائع وهناك حقائق، وبين هذه وتلك ترى الناس يموجون في بعضٍ تائهين بين التصديق وبين التكذيب، ويبقى اشتداد المعارك هو الأصل.

أما الحقيقة والذريعة فهما يعدان تهميشًا تلقى عليه تبعات الدمار والأذى ساعة الهجوم والدفاع.

فالحقيقة تحتاج إلى تجربة كر لإثباتها، والذريعة تحتاج إلى ملاحقة فر لإسقاطها.

لكن الأمر يحتاج منّا إلى تقييم لا نُولي بعده الأدبار لنقول: ولات حين مناص، لأن النصر أو الهزيمة يمكن تصورهما كتوأمين سياميين ينبغي فصلهما عن بعضهما للحفاظ على الحد الفاصل بين الوفاء بمتطلبات الاحتدام والوقائع، والتشابك وبين اعتبارات التمتع بمحمية دفء إتمام الحكمة، فلكل معدله النسبي من الصمود والتعزيز والإسناد لأن تلك النسبية تحقق مجال التحرك التنافسي في ظروف قد تكون صعبه أو تكون مهيئة. فلا يتم الوقوع في شبهة التظليل.

فالحقائق تترافع عن إيمان بالموقف والذريعة تتراجع عن وهمٍ بالتشدق، وهذا ما تبثه ملامح الرجال من خلال معنوياتهم البائنة على وجوههم وفي سحناتهم، وهل هم متدافعون بالنكوص أم مندفعين بالإقدام.

ربما يستطيع القادة أن يقنعوا جنودهم بإمكانية النصر، لكنهم لا يستطيعون إثبات فرض ذلك الإقناع إذا كانت الحجج هشة والتغرير غائر ودون مستوى سطح الظاهر من القول وباطنه، فلن يستطيع الجنود القتال حتى ولو كبلوا أرجلهم بالسلاسل - خوفًا من الهرب - لانتزاع النصر انتزاعًا، وإلحاق الهزيمة بالطرف الآخر، ما دام إدراكهم وذهنيتهم لا تتفاعل مع أوامر الحدث إذا كان يحمل تهديدًا أعرجًا يبحث عن منازع أو خصم يلقي عليه البطش والتسيب المجرد من قرائن التحكيم العقلي.

لذلك فالذريعة تمثل نفوقًا أخلاقيًا، لا تفوقًا تعبويًا مرجحًا كفة المتاجرة بأرواح تأمل دائمًا أن ترى تلائم الميول مع المشاعر بلا إخلال عن موعد الحساب مع النفس، طالما ترتبط الحقائق مع تواثق الإنسان بروحه، لأنها تتمنى باستمرار أن يكون سلوكها متفقًا مع معتقدها الذي لا يصبو إلى الانحراف دون تبخيس لحق احترام الذات.

وضوح العمل الأدبي

للعمل الأدبي تأثيرات تنزّ بها إيحاءاته ومعانيه، بما تحمله من أصالة إبداعية وجماليه، وله آلاء، وآلاؤه هي طاقته المتدفقة من المشاعر التي يستنهضها في النفوس، فإيقاظ الطاقة الشعورية إنما هو نقله من حاله الخمود إلى حالة النهوض العاطفي، فهو يثير وجدانية خاصة تتوافق مع فكره الموضوع الذي يستقصيه.

لهذا يمكن أن نسمي ذلك بحالة الإفاضة من الجمود والتوقف إلى الإثارة، ولا يتم هذا بشكل مطلق، وإنما ينبع من عواطف صادقة ومشاعر نبيلة خالية من الزيف، لذلك لابد لها وأن تتسم بالصدق والحيوية، لأن النبضة الشعورية تتخلق من الطبع والسجية الذي يوحي به العمل الأدبي.

فحبكة العمل الأدبي تنبثق من سياقه في إعطاء مشاهد حيوية ناهضة من المكان والزمان والحدث، وفقًا لخلاصة الطرح من خلال الأشياء والإنسان معًا.

فالتعبير ضروري كوسيلة لإثارة المكنونات الوجدانية المخبوءة، ولا أقول إنها مستهلكة وموروثة ومعهودة بل مخزونة

ومستثارة حين يكون لديها الاستعداد، والاستعداد ينتظر إيعازًا عاطفيًا يحيط تلك المشاعر بهالة ثرية من التجليات الوجدانية الخالصة، بما يجعل المتلقي يندفع نحو أفق التقمص.

فإذا ما منحنا العمل الأدبي تلك التأثيرات واستدرجنا لوفاق وجداني وعاطفي خاص، نستطيع أن نحكم عليه بالصدق والأصالة بما لا يدع مجالاً للشك وضوح نيته في إبراز مكرمة ما استقر في نفسه من ثبات سجيته.

فوضوح المشاعر وصفاء سريرة العاطفة يجعلان من النص الأدبي خلقًا وإبداعًا يتكشف معه التفاعل المتبلور لدى السامع أو القارئ، فإذا كان النص هو انعكاس للحياة فإنه يكون مرآة نقية بلا خدوش لإنسان هذه الحياة؛ يتفوه بهمومه ويستقرئ ايغالات الشوق والغربة والحنين وكل مضامين التوجع والتحليق في أجواء المراهفة التي يطلقها حس التلذذ.

تلكم هي المؤالفة، وذلكم الإيجاز.

وثبة الخيال

من إرساءات التجربة وبناءات القدرة وتقاطر مسوغات الإلهام؛ يتولد نص القصيدة بعد أن تصب في قالب الإبداع الجميل في فنية متعانقة تحمل دفء التواصل الروحي، فهي طروحات وفية يقوم الشاعر من خلالها بنقلنا إلى جو من العوالم غير المحسوسة، عوالم من الخيال تطير بنا لتبث روح التجلي والانتشاء والإبهار عبر توقد المشاعر وامتزاجها، فنراه يرمز لنا بالتوليج المقارن، أو بالتلميح المشابه لإضفاء حالة من التصور الموازي لإثراء الانسجام والتآلف.

لذا فإن الشاعر يقوم بإتحافنا بصور شعرية متعلقة بمحور النص، وهو ليس تكميليًا فحسب، بل هو جزء لا يتجزأ من حوارات القصيدة، فالصور الشعرية ما هي إلا تشبيه بين معاناة الشاعر وبين استدراجات تقع خارج الحواس، أو لنقل إنها حالة مقارنة توافدية يراد لها أن تكون عزاءً خالصًا، أو دعوة لمشاركة وجدانية غضة عبر اللجوء لحالات سامية، فهي مزاوجة، وهي تعبير انتقائي يعبّر عن تداعيات كثيرة مثل الغربة والحنين والكبت والشوق واللهفة واللقاء، وذلك لكي

يجعلنا مشدودين بنوع من المتابعة المتبادلة ويحسسنا بتوارد تتابع وتداخل مع إتقان النص، مما يثير فينا مشاعر التواءم والتناغم، ومشاعر الألفة الخاصة بيننا وبين الشاعر، فهي احتضان لمعاناة الشاعر وبؤسه، لأنه يفيض لنا شعورًا يرمز لخيلاء معينة بها فضاءات من الخلق والأجواء الجديدة. والابتكار الموكول إلى التناسق وفق رونق تصوري، إنها واقع يبشر بحلم الاستعارة والتشبيه، ويبشر أيضًا بعطاء يمنح ثمار عذوبته بسيل من التضمينات المبررة، وكأنها مناجاة تثبت تودد الشاعر لنصه وتدويرات أفقه.

وجهة الإبداع

ليس الإبداع عارضا يتدفق عطاء ثم يتقهقر، ولا مطية يركبها المبدع ليسير بها في متاهات المآرب من دون تحديد لوجهة مشرقة وهدف مرسوم. فالإبداع هو سلالة أصيلة من الموهبة والتثقيف، تعلن عن تألقها وثباتها من خلال استمرارية إطلالاتها وتركيزات معالجاتها.

لا نستطيع أن نتصور قصورها ما دامت ترتبط بالجانب المطلق من الوعي العقلي، ولا نتصور جمودها ما دامت لن تتخلى عن أمانة نقل الكلمة الصادقة المتوافقة مع متطلبات المجتمع، فهي تحقيق لذات المنتمين للمجتمع من خلال إسقاط المبدع لهواجسهم والرغبة في إبداء تعبيرات أفكارهم واستشكالاتهم من دون توجس، لان الجراح تبقى من دون التئام إذا لم تجد من يتنبه إليها ويعمل على إفاضة برء التشافي والاقتدار عليها.

ليس من الصعب على المبدع أن يتقصى بنظرة ثاقبة تداعيات المجتمع، ولا أن يغيب عن تصوير حالات الاحتقان. فالمبدع يصور بنوع من الاستلهام كل الأوجاع وكل التداعيات بلقطات تعبيرية متواترة ليست بالضرورة أن تكون مسهبة، وإنما تعطي

وقفات ترجيحية لمجموعة اختراقات أو انزلاقات سلوكية عائمة وعادمة لمبدأ التقبل والرضا، مما تفور معهما رغوة المساوئ أكثر من قرارة المحاسن والمزايا.

هذه الوقفات تكون باستخدام لغة مميزة وأسلوب متماسك ومحبوك يتنبه معهما المتلقون لأثر المشكلة أو تفاقم استشرائها. ويبقى هنا دور أولئك المتلقين ومدى فهمهم وإدراكهم لذلك الاستشفاف وذاك التسليط وفق المعطيات الثقافية التي يعتمدها ذلك الطرح، ففهم الطرح يقود إلى التفاعل، والتفاعل يؤدي إلى تفعيل الجانب الإنساني والمعرفي في القدرة على استجلاء المغزى والهدف.

فالمسألة مسألة إيقاظ الوعي في التعامل مع نصوص هادفة ومخلصة، وكلا المبدع والمتلقي يلتقيان في مجرى نهر التلاحم والتحاور الذي يفضي إلى تآزر يبدد ظلام الجهل واللامبالاة والانهزامية، فالمبدع يتأمل نفسه كواحد تشمله تلك التداعيات والاخلالات اليومية المستمرة، فهي تطفو وتطفو فوق سطوح مساحات مرتعشة من تسيد الهموم والصراعات النفسية.

لذا فان المبدع هو منبر يتدفق بكلمات الحيوية وزرع الثقة. ينقل لنا طروحات الصراعات بشيء من التعمق ووثوق التشخيص وتمرس الانسجام، بعيدا عن ابتزاز الموقف، وعن المباهاة

والاستعلاء، بحيث يغلب العام على الخاص. فهو ينقل كل ما هو إنساني ومجتمعي على أساس من سعة الأفق، فالتماثل يفرض مصداقية التمثيل مستبعداً الاستثناء الذي يخرج عن قاعدة الانتماء الواسعة ما دامت المشاعر مشتركة والاهتمامات معممة ومتداخلة وغير قابلة للتجزئة. وما دام التخلق بهمة الحوار البعيد عن التعصب هو ما يعطي العمل ميثاقه والرأي حزمه من دون تعليق مترنح أو تأويل مساوف.

قِداح الذائقة

يتفاقم رونق القصيدة عندما تتهادن فيها اللغة مع أصالة النص، المفردات مع الامكانات. فالقصيدة هي إبراز لقيمة النص بتصوراته وسياقاته. لا نتكلم عن الوضوح وعن الغموض فحسب وإنما عن إبداع يرتوي من حبكة الشاعر، والذي من خلاله يطرح أفكاره ومشاعره ويعبر عن مشاكله وهمومه، فإذا ما غلبت النقلات الرمزية بإيغالات غير مباشرة يكون محتوى القصيدة غامضًا، وإذا ما غلبت الإيحاءات المباشرة والراسخة يكون إسقاط القصيدة واضحًا.

والوضوح والغموض أمران يتعهدهما الشاعر وفقًا للكيفية التي يطرح فيها همومه ومشاكله، سواء أكانت خاصة بشخصه أم بواقعه ومجتمعه بما يتماشى مع هيبة النص، وهذا له علاقة قوية مع نهج الشاعر معتمدًا على درجة وثوقه وقابليته على فن الطرح، فاللغة واحدة، ولكن طريقة استخدامها تختلف والأشياء المحيطة بالشاعر من هموم ومشاغل لا تكاد تختلف عن مثيلاتها لدى آخر، ولكن النظرة إليها والإمعان في نقلها وإبداء تشكيلها وكيفية صياغتها والتعبير عنها يختلف من

شاعر إلى آخر، فكل يعمل على شاكلته في تقديمه النص الأدبي وفقًا لتنبؤاته بطريقة قراءه النص من قبل القارئ.
فالوضوح يفترض أن يكون القارئ مبعث تفاعل، والغموض يفترض أن يكون القارئ مبعث تقابل وتواز دون أن يكون محتكمًا إلى التواضح الذي يربط القارئ بالقصيدة. فالوضوح يقود إلى مثاقفة وشفافية متبادلة، والغموض يقود إلى مساورة الانكفاء وعدم القبول. قد تكون تجربة الشاعر مثيرة، لكنه يحبذ عرضها بأسلوب التورية والمجافاة مما يفقدها الفهم ويفقدها الجدوى، وتقود إلى اللامبالاة بقراءة النص.

إن المحك هنا هو التذوق الأدبي وتحريك الأحاسيس نحو فهم ما يكنه الشاعر، فالعاطفة لها دورها الخلاق في تدبر سياق القصيدة وتوليف رأي وفق أجواء شعورية محاذية لتصورات الشاعر، فالتذوق يدلنا على مدى جمالية العمل الأدبي هادفًا أم غير هادف، سيئًا كان أم جيدًا، والقصد هنا هو في طريقة إيصال المخزون الثري من المعاناة التي تحتويها الصور الشعرية من خلال المعاني وتأويلاتها واختراقها لمجسات المتلقي بحيث تتفرد في الإعجاب وفي التواجد الوجداني.

تحالم النظم

ليست كتابة الشعر هواية يتسلى بها اللاهون، ولا تدريبًا معدًا له يخضع صاحبه لميدان اختبار، ولا مهنة تستوجب مداهنة وكفاية مادية.. إنما هي تجربة مريرة متواصلة، واقتحام لمفهوم الألم والمعاناة والقلق والتوتر والتقدم والانحسار والرسوخ والتأرجح والاختلاف والاتفاق والواقع والحلم.. ذلك لأنها موهبة تأخذ مصداقيتها من ذلك كله، فهي سجية وطبع أريد لها أن تكون فعلاً قائمًا بذاته، ولا يوصف بها إلا لمن كان عطاؤه إيمانًا ذاتيًا بجدوى ما يُكتب، ويقينًا تمهد طريقه الاستجابة.

لذلك فأن هذه التجربة لابد لها وأن تكون بعيدة عن التقليد وعن المحاكاة وعن ارتداء أثواب الآخرين بحجة مطارحة الأسلوب وانتهاج التأثر، فالتجربة الشعرية ممعنة بالإبداع، ومرهونة بالحقائق، ومشكلة بالأحاسيس المتوارية والمزدهرة بفرصه المثول أمام إرهاصات الإفصاح.

فكتابة الشعر هي نبرة داخلية سامية بطائنها دفينة، لكنها تتألق بالتحاور مخترقة آفاق التجدد موضحة معانيها بحيوية

اللغة وانسجام المعاني والألفاظ، نجدها معقودة برباط الألفة وموصولة بتزامنها مع الإلهام ومقدرة بالتجذر الأصيل، فهي تمثل حياة؛ لأن لها علاقة متأنية مع الصدق، وهي بقاء؛ لأن لها نظرة ثاقبة مع الوفاء، وهي تكامل؛ لان كنهها متغلغل مع التفاني. تثبت حضورها بجداره وتقترن بكينونة الانتشاء باعتزاز. لذا تكون كتابة الشعر حالة سوية لإلهام غير طبيعي تحس معه بتدفق تعابير الصور الشعرية وفق نسق متحاور ومتوازم مع عمق التفاعل.

والتجربة الشعرية تمر بمراحل صقل وتشذيب، وكلما تقادمت عليها السنون والظروف كلما بلغت من النضج ما يكفي لأن تكون واثقة من مجاراتها لإمكانات الشاعر، فهي ليست عفوية تسقط في المزاجية، بل وقفة نادرة عاقدة العزم على تبني أسلوب الطرح المنطلق الذي يشتاق دائمًا إلى البوح الرزين، دون إشكالية أو شائبة أو اختلاق أو تملق. فهي شعلة نادرة بالتناغم وتفاؤل ينم عن حالة الإقرار بعلو الرفاه، وهيبة الثبات باعتلاء منابر السؤدد.

مزايدات الغطرسة

بشيء من اللولبية؛ تتحرك أخلاق بعض الأناس، وتنجلي خطوب مستوياتهم ما بين التهميش والانتهازية، رغم انشغالهم بمراهنات العظمة ومزايدات الغطرسة.

ونحن هنا حين نتكلم عن هؤلاء البعض ممن يبتعدون عن ذوق المحافظة على كلمتهم، ولا يتورعون عن التخبط في مماطلة تعاملاتهم مع الآخرين، فإنهم فوق ذلك يضعون بصمات أصابعهم على أوراق الانحراف المكشوف، والانجراف المندفع نحو محدودية الأفق وسقطة التنبؤ، فهم يقومون ويقعدون ويسيحون ويسومون ويعملون بجد المستميت لنفسه، ويؤدون نتائجهم حسب نسبية نجاح مقاصد مصالحهم؛ ولكن بلا وازع أفضلية، ولا رادع استحقاق. فهم زمرة تعودت على هلامية الرأي واستهانة الضمير، همهم الأول والأخير إشباع غرائز تطلعاتهم مع الاحتفاظ بسرائر رغائبهم.

إنهم يشيئون الأمانة بكل تجاوز، ويعلنون تمسكهم بعرى الانفلات لدرجة أنهم يصيبوننا بدائرة الذهول، ويتخطفوننا بلكنة المزاح والاستهجان دفعة واحدة، ويهيلون علينا غشاوة

المضض، ولا يختتمون أقوالهم بثبات الرأي، ويتخلصون من التزاماتهم بتنصل مبرر لا يمت إلى القبول بشيء، فهم محترفون للتأويل رواجون للتبرير، مزاجهم دخيل، والدخول معهم تورط في علاقات السخرية، لأنهم يتفيأون بظلال الانحدار المتهاوي، ويتسابقون لانغمار مساحيق التهريج الخالية من الرؤية والارتباط والصدق.

قد نبادر بكل وثوب نحو إبراز أحقية التعامل معهم، ولكننا سنكون حينها لسنا سعداء في تمنينا لذلك التصرف، وسنكون أشد ضررًا نتيجة تلاعبهم بنا، فالأمور لديهم تقاس بالفرص المشبوهة؛ لكونهم مصابين باحتقان المثل وتشنجات التأدب. يمارسون احتقار الكلمة ووقاحة الأسلوب، يتمتعون بالتشدق بأبواق الشهرة وعبودية النماء الأجوف الخالي من الأحاسيس والمشاعر ورموز الأنسنة.

لنكن إذا أكثر حذرًا منهم، وأكثر وعيًا، لأن ما يمنعنا عن الالتصاق بهم هو رفض اعتباراتهم ونبذ فكرة توصيف قدرتهم بالخلق والتأثير، لأن ما يتهافتون عليه لا يستند إلى ركن الاستقامة.

ندب النزاعات

تنتابنا النزاعات والحروب على مستوى العالم، ونحن نلوك أوقاتنا في مشاهدة أحداثها المثيرة، ضائعون بين تلك المشاهدة من جهة، وبين كبت مشاعرنا، ما نحين لأنفسنا فرصة التمتع بإدراجات العولمة؛ والتي هي حسب تعريف الأمم المتحدة تعني التزايد المكثف لتدفقات السلع والخدمات والأفراد والأموال بين الدول لتحقيق التكامل اقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا، فهي شاملة وذات تدفقات وتتسم بأنها واسعة ومكثفة وسريعة في آن واحد، وذات آثار كبيرة؛ حسبما ذكر كتاب "قضايا اقتصادية" لمؤلفيه الدكتور عبد القادر محمد عطية والدكتور السيدة إبراهيم مصطفى.. لدرجة أننا ننسى كوننا واقعين في حبائل فرضها قسريًا؛ شئنا أم أبينا.

تلك النزاعات المستمرة؛ وحين نوحد مشارب تفكيرنا؛ نجدها موجهة نحو المستهدف من التنبؤ وإدراك الوعي؛ فإننا نخلص إلى نتيجة أو مقولة أن تلك النزاعات إنما هي تقفو بنا إلى علم مفاده احتقان الأرواح وعدم أحقيتها في الشراكات والمزايا وسماع الرأي والمطالب.

إذن أهم ما يثير النزاعات هو حب الاستحواذ ورغبة السيطرة وعدم امتلاك الفرص لعبور جسور المساواة، فاستشعار الظروف يقرب فينا فهم الأسباب التي من خلالها يحقق طرف أعلى مستوى له من الاستيلاء على الموارد والمكاسب الاقتصادية من الطرف الآخر؛ أو على حساب الطرف الآخر، فالصراع يبدأ بعرض للقوة لا بتحكيم للحوار، لتبدأ بعدها فذلكات الفرض والهيمنة، والوساطات، واللجان التحكيمية؛ في وسيلة للخروج من مأزق الأحقيات.

فالتحضيرات تبرز من بداية التحرك لانتخاب شخوص أهداف معينة، تهتز تلك الأهداف تبعًا لقوة الرياح الهابة من جهة القوة القابضة، وانحسارها عن جهة الفئات القابعة في عالمها المتآكل أسىً، والذين يعيشون خماصًا ينتظرون حماية المنظمات الإنسانية.

كل الأطراف تريد انتزاع الرخاء والوفرة واستغلال الموارد، ثم ثفاء إلى سيادية السياسة وتنموية الاقتصاد والمجتمع.

إن أسباب تلك النزاعات كثيرة ومتعددة: أوضاع حرجة، أو قيم متباينة يداس عليها، أو موارد مجتباة، أو خصوصية تبحث عن مجموعاتها؛ ثقافيًا واجتماعيًا وسياسيًا، أو مشاركة غير مغطاة بلحاف الشرعية.

ولأن النزاعات ذات طبيعة حركية؛ بسبب المطالب المتجددة والطموحات المتغيرة؛ فإن القسمة الضيزى هي سبب قائم وليس نفث زاعم، وأن قربة تلك القسمة ليست مخروقة، وإنما تطلق أصواتًا مسموعة بشكل مترامي لا يصطدم إلا بالتلبية واحتراف الجلوس حول مائدة التفاهم؛ ليس لإبداء الأسف؛ بل لوضع ملامح مثيرة للمداولة وفق منظور المشروعية والأحقية وتكافؤ الفرص المعيشية.

فالفقر المتفشي في العالم، والذي وصل عدد أشخاصه إلى أكثر من مليار وعشرين مليون شخص، فإن هذا الأمر لا يقبل اختبار نوايا ولا اختيار حلول، بل يحتاج إلى اتخاذ قرار أخلاقي قبل أن يكون انفضاض إجرائي يقصد منه سكب أموال في مصهر الفقر باسم التنمية المستدامة، والتي يقصد بها مواجهة احتياجات وقدرات الأجيال الحالية، مع عدم المساس باحتياجات الأجيال القادمة.

وباستعراض الأرقام فإن ما قُدم من التزامات للدول الفقيرة يعادل ١% مما دفعته الدول الغنية لمواجهة الأزمة المالية العالمية، فعلى من تقع مسؤولية الفقر إذا كان ما خصص لصندوق النقد الدولي مبلغًا يقدر ب ٥٠٠ مليار دولار، وما خصص من مبلغ يقدر ب ٢٥٠ مليار لتنشيط التجارة البينية بين الدول، بينما نجد أن ما خصص في قمم الدول الغنية هو ٢٠ مليار دولار

أمريكي فقط للدول الفقيرة (حسب ما ذكرته فضائية ال بي بي سي في إحدى حواراتها مع مجموعة متخصصين)، فأين تقديرات تسويات الفقر المدقع ومفاضلات أنانية الحلول؟

فكيف لا تتفاقم النزاعات وتتكاثر الحروب إذا كانت الموارد تعيش حالة استغلال ذا عائد مثقل بالرسوم والضرائب، فتضيع معها هوية الناس الضعفاء، لأن ما يهمهم هو أن يكونوا في مستوى رؤى لا تعرف العمى، لكي لا يجدوا في أنفسهم حرجًا ولا ينظر إليهم كعلامة فارقة في مصائد سهلة وسط اضطراب الوطيس.

التداعيات

بين تسيّد الأقدام وتخلخل التردد

أن تبني الثقة؛ فإنك تحتاج إلى عشرات السنين لكي تثبتها وتركزها إزاء الآخرين من عملاء ومجالات سوقية، لكن أن تفقد تلك الثقة فإن ذلك يتم على حين غرة، وفي لحظة من لحظات العجز والنكوص وعدم القدرة على مواجهة الأزمة؛ قد تودي بخبرتك وسمعتك دون التنبه لأخطاء لم تدرك يومًا أهمية وقوعها، فتراك عايشت جولة الغلو ولم تحسم النتيجة، وبعد النتيجة تتذكر هفواتك وتتحسر على ضالتك، فتنزوي لتواجه حقيقة نفسك إن مجالات السوق عديدة وواسعة ومتشعبة.. ويعتبر العقار أحد تلك الخيارات التي يتسابق إليها المستثمر لكي ينمي عوائده ويحافظ على سيولته، سواء كان الأجل طويلاً أو قصيرًا، والمعيار الذي يبني فيه المستثمر قناعته من الشراء هو تقديره المستند على خبرات شخصية أو مشاورات عقارية أو نصائح أو توقعات، حينها يأتي إلى اتخاذ القرار، واتخاذ القرار ما هو إلا عملية مفاضلة بين مجموعة اختيارات تطرح أمامه في فترة زمنية محددة، تجعله يعطي

لنفسه زخمًا جريئًا بأن عملية الشراء تلك ستدر عليه ربحًا وعائدًا في المستقبل، وحين يكون في ذلك الموقف لا مجال معه للتلكؤ ولا التردد ولا التراجع، لأن تلك السلبيات تضيع عليه الفرص، فالتلكؤ يجعله في حيرة من أمره، والتراجع يفقده ثقة المتعاملين معه.

والسوق كما نعلم ونعايش يحمل أمثلة عديدة من عدم الثقة وعدم المصداقية والتحايل والمماطلة وعدم الوفاء بالتعهدات والجنوح نحو ابتزازات الجشع والطمع، وكل تلك السلبيات؛ وإن كانت موجودة في السوق؛ إلا أن محدوديتها تجعل أصحابها يحسبون ألف حساب للفرص المتاحة، لأنهم يحرصون دائمًا مع أنفسهم على التواجد والحضور اليومي، وأن ضياع الفرص يعتبر تحدٍ كبيرًا بالنسبة لهم، وهدرًا كبيرًا أيضًا لأدوارهم في عمليات الشراء والبيع، فسوء السمعة هو ضعف وعامل تهديد لهم، لذا لابد وأن يركزوا على عامل الفرص من جهة، وعامل القوة من جهة أخرى، لكي يحققوا توازنًا ما بين فرص السوق والصفقات العقارية وما بين الأخلاقيات. والمحك هنا هو التعامل الذي يكشف النوايا ويبقي على شعرة التواصل.

لهذا فإذا أردت أن تخطط فلابد أن يكون لديك هدف، والهدف لا يتحدد إلا بقيامك برسم صورة نظيفة صادقة لنفسك توضح فيها رؤيتك العملية التي يفهمها الآخرون، هذه الرؤية

تجعل الشخص الواثق من أن يستمر في تواصله مع السوق ومع متعامليه بشكل لا يجعله متردداً في اقتناص فرصة شراء مقنعة يبادر إليها رغم تذبذبات العرض والطلب، ورغم انحسارات عمليات البيع والشراء في ظل مخاوف التوقع والتخوف من هبوط الأسعار وتراجعات الطلب، لأنه وإن انخفض سعر العقار الآن وزاد التوجس فإن احتمالات ارتفاعه تبقى واردة في ظل التنبؤات المبنية على الاستقرار والثقة في السوق وتعديل القوانين.
فهي بلا شك مرتكزات أساسية يسير في هديها الحريصين على بناء لبناتهم الاستثمارية وفق معايير حصافة الرأي وسداد التوجه ووثوق التطلع.

وعلينا أن نتذكر بأن أعظم قوة في الحياة هي قوة الاختيار (كما قال كونفو شيوس). فبدلاً من أن نتوجس تشاؤمًا علينا أن نتبنى تفاؤلاً يقودنا إلى فاعلية مستمرة تعطينا بارقة أمل لحصاد قادم.

الحوكمة و القيادة

حتى ندرك الأحداث والتطورات التي تحدث الآن للعالم، وما تبعها من تغيير في إجراءات التعامل مع الأوضاع الاقتصادية، علينا أن نعي حقيقة أن ما حدث ليس وليدًا للصدفة، وإنما جاء نتيجة اللامبالاة في إتقان العمل، والاستهانة بما ستؤول إليه الحال، دون إعطاء الأهمية المطلوبة للنتائج، ولم تدرك تلك المؤسسات المالية أن الأساس الوهمي الذي انهار بها وسبّب أزمة تاريخية نتجت عنها خسائر فادحة كان لها الأثر الجارح الذي ضرب كيانات تلك المؤسسات في الصميم. والذي أدى إلى قيام البنك الدولي هذه الأيام بالتحذير من عواقب تراجع في النمو الاقتصادي العالمي، إضافة إلى التراجعات الحادة في النواتج والأرباح وعدم وجود محفزات، وإزاء ذلك أصبح لزامًا عليها أن تلجأ مضطرة وتتشبث بالحكومات لكي تنقذها، وتقل عثراتها راضية بكل ما تتخذه تلك الحكومات من إجراءات وقوانين ولوائح، فبات التركيز على الإنقاذ هاجسها الأول، وتقبل التحول نحو رقابة الدولة أمرًا محسومًا، لأن الخسائر فاقت قدرات الاقتصاد العالمي والتي وصلت إلى ٥٠٠ تريليون دولار

بينما. نجد أن قدرة الاقتصاد العالمي ٦٠ تريليون دولار فالخسائر التي وقعت هي أضعاف قدرة الاقتصاد العالمي. فالفرق واضح بين ٦٠ تريليون دولار وبين ٥٠٠ تريليون دولار (أي نصف كوادريليون والكوادريليون يساوي ١٠٠٠ تريليون) وكان ذلك بسبب ترك تلك المؤسسات خارج نطاق الرقابة والمسائلة.

وبعد هذا كله لابد من التحول من ترك الأمور سائبة إلى مرحلة التوجيه والرقابة، وهذا التحول أفرز لنا ما يعرف بحوكمة الشركات (Corporate Governance) والتي هي عبارة عن نظام يضمن لنا مراقبة وضبط وإدارة الشركات وذلك وفقًا لمبدأ الشفافية (Transparency) ومبدأ المسائلة (accountability) وأهم ما تتضمنه الشفافية هو الإفصاح (Disclosure) والذي يجب أن يكون كافيًا وملائمًا عن عمليات وسياسات الشركة بما لا يمس مصالحها الإستراتيجية للخطر.

فلا نتصور حوكمة دون بناء نظام ملائم للمراقبة الداخلية لأنها تمنحها الضمان بأن أهداف الشركة تسير بالاتجاه الصحيح، وذلك باللجوء إلى عنصر الإفصاح بما يتماشى مع القوانين واللوائح والنظم، ووفقًا لخلق جو أخلاقي، ذلك لأن الشركات مسؤولة أمام المجتمع وأمام أصحاب المصالح من حاملي الأسهم والسندات الأطراف الأخرى بأن تحافظ على

معايير السلوك الأخلاقي، وهذا تأكيد على دور القيم والمبادئ، فالحوكمة بشكل عام هي القوانين والقواعد والمعايير التي تحدد العلاقة بين إدارة الشركة وبين حملة الأسهم وأصحاب المصالح والعمال والموردين والدائنين والمستهلكين. ولكي تؤكد مجالس الإدارات دورها من خلال تحقيق خاصية الكفاءة وخاصية الفعالية والمبادرة والتفاعل والسيطرة على الموقف وإثبات قدرتها على دافعية العمل من خلال إثارة الحماس وإثارة واعز مشاعر الرضا لابد وأن تحافظ على الهدف المشترك، وتحافظ على انسجامها مع جماعة المتعاملين، مما يتطلب وجود قيادة قادرة على التوفيق بين مصالح الشركة ومصالح المتعاملين، وذلك بألا تسيء إلى استغلال أموالهم، وأن تسفر إلى زيادة ربحيتهم، وأن تفتح لهم آفاق الرقابة والمسائلة.

فالحوكمة تبني عامل الثقة ما بين الشركة وما بين المتعاملين، وذلك باستخدام الأدوات المالية والمحاسبية السليمة حسب أسس الإفصاح والشفافية.

فالقيادة السليمة تحمي حقوق المتعاملين مؤكدة على عامل العدالة في تعاملها معهم، وبما أن مجلس الإدارة هي قيادة، فإن نجاحها يتحقق من خلال تحقيق الشفافية والمسائلة بحيث تكون التصرفات مسؤولة وغير ارتجالية، ومحكومة بقرارات

مبنية على تحقيق الأهداف وفقًا لظروف البيئة الداخلية والبيئة الخارجية والنجاح في المفاضلة التي تولد قرارات موضوعية. وبما أن مجلس الإدارة يعتبر القلب النابض للشركة وعملياتها، فعليه أن يحقق خصائص القيادة، ويأخذ بزمام الأمور بالسيطرة على القوة الواسعة والشاملة على إدارة الشركة، وذلك بإنجاز كافة المهام بما يضمن حماية أصحاب الحقوق، وكذلك بمنع الشركة من الوقوع في حبائل العجز والإفلاس، فمهمة القيادة التوجيه والرقابة واعتماد خطط للموازنة وملاحظة وتقييم أداء الإدارات ومراقبة المصروفات وتحقيق الرقابة المالية وضرورة تشكيل لجان لإدارة المخاطر ولجان للتدقيق الداخلي، وذلك لكي تكون الإستراتيجية حاملة لميزة تنافسية فريدة، وتكون الرؤية متوافقة مع صورة الشركة التي رسمتها لنفسها.

ويمكن أن نعي دور القيادة إذا عرفنا أن عملية التأثير التي يقوم بها القادة والتي ترتبط بمبدأي السلطة والنفوذ، فلابد أن يكون الإقناع مبنيًا على عامل الثقة، وأن يكون الحث منسجمًا مع طروحات علاقات النزاهة وعدالة تقدير المواقف فيما بين القيادة وبين الأطراف المتعاملة، حتى تكون للروح المعنوية قراءتها الصحيحة في إثبات أهلية القيادة. لمسك زمام الأمور بقدر عالي من النجاح.

ومن خصائص القادة الموهوبين الذين يتمتعون بقدرات خاصة؛ الثقة بالنفس؛ أي يعرف ما يقوله وما يفعله، وأن تكون لديه رؤية للمستقبل، وأن يكون أداة للتغيير والذي يتضمن عدم القبول دائمًا بالوضع الحالي للشركة. فالقادة هم على دراية بما يستطيعون ومالا يستطيعون عمله.

فالأزمة بما تحمله من تداعيات تعتبر أكبر تحد لقيادات المنظمات، فهناك حقائق اقتصادية جديدة، وعلى القيادات أن تبني تطلعها مع مقتضيات الإستراتيجية الاقتصادية الجديدة، وأن تحرص على التطلعات العملية بصدق، ولا يتم إلا بتغيير الاتجاهات التي ستؤدي إلى سلوك مبني على ميول ومعتقدات تتفق طرديًا مع تحركات التكيف للوصول إلى تكافؤ جدير بالتواصل مع السوق ومع المستهلك الذي يعتبر المحرك الأول للاقتصاد.

فتحديد الاتجاه للقيادة سمة واجبة، لأنه يتعلق بالمسار غير المنحرف، وتسخير الطاقات والقوى يؤكد مدى الدافعية المستثمرة للعطاء والعمل المنظم. وكذلك التحفيز الذي يرقى بالشركة نحو النمو وإقالة العثرات والتمايز في عالم المال. والسوق الذي تسوده منافسة قدرات القيم قبل مجازفات الاحتيال، وأصعدة الرقابة الذاتية قبل النزول إلى أنفاق التعاملات الوهمية.

المصادر:

١) مبحث في حوكمة الشركات والأزمة المالية العالمية، للأستاذ طلال أبو غزالة.

٢) كتاب إدارة السلوك في المنظمات، تأليف جرينبرج وروبرت بارون. (ترجمة د.رفاعي محمد ود.إسماعيل علي بسيوني)

دور الضغوط في كفاءة القيادة

لكي نفهم الإدارة؛ علينا أن نعرف ما تعنيه هذه الكلمة، فالإدارة ما هي إلا تحقيق أهداف أي شركة بكفاءة وفعالية، وهذا يأتي من خلال أنشطة التنظيم والتخطيط والتوجيه والرقابة.

والمقصود بالكفاءة هنا القدرة على استخدام الموارد المادية والبشرية، ونقصد بالفعالية مدى النجاح في استغلال تلك الموارد لتحقيق أهداف الشركة.

فلابد أن ترتبط الكفاءة بالتحسين، والفعالية بالعلو، ولكي نحقق التوازن بين الكفاءة والفعالية يبرز لنا دور الاحتراف في إدارة الشركة بما يحمله من مضامين القيادة الفذة، والتي تعرف كيف توفق بين احتياجات الموارد البشرية وأهداف الشركة، مستغلة مسارات التخطيط السليم دون انحراف أو سوء تقدير، وتُمكّن التنظيم الذي يحدد الأدوار والمهام والمسؤوليات، وحيوية الرقابة التي تدلنا على مدى تطبيق الأداء المخطط له قياسًا بالفعل، وحزم التوجيه الذي يتم من خلاله وضع البرامج والسياسات والخطط ومتابعتها عبر سلسلة من توجيه التعليمات.

وأهمية هذا التوازن تبرز خلال أوقات الأزمات، فإذا لم يتحقق الالتزام والتوافق بين الموارد المتاحة وبين استراتيجية الشركة لتحقيق الأهداف؛ فإن الشركة تتعثر، وتصل إلى درجة أشبه بالتخبط، بل وتلجأ إلى الاستعانة بجهات خارجية للمساعدة والخروج من أزمتها الخانقة.

قلنا إن الوضوح هو ما يحكم العلاقة بين مجالس الإدارات وبين حملة الأسهم وأصحاب المصالح ومالكي السندات والموظفين والموردين وكل الجهات التي تتعامل معها الشركة، لذا فإن إخفاء أي معلومة تضر بتلك العلاقة ويهتز معها عنصر الثقة في ما بين المتعاملين وبين الشركة، ذلك لأن تلك الشركة تكون قد دخلت في دوامة القروض والاستدانة للخوض في مشاريع أكبر من حجمها، وأكبر من تغطية رأسمالها، دون أن تعي تلك الشركات من أن أي كبوة قد تطيح بما بنته من تواجد استراتيجي، فيصبح موقفها الأكثر تضررًا بسبب طموحها الذي فاق إمكاناتها، وبذلك قد لا تتمكن تلك الشركات حتى من رد حقوق المودعين، وذلك نظرًا لوقوعها تحت طائلة العجز، وقد لا تكفي حتى الأصول والموجودات من تغطية الحالة التي خرجت عن إرادة الشركة.

لذا فان على أي إدارة محترفة وناجحة وفذّة أن تحرص على حماية الحقوق، وأن تحقق عدالة تعاقدية ما بينها وبين فئات

المستثمرين وفق معايير وقواعد ضامنة ومحددة لا تضر بمصالح الأطراف المرتبطة بالشركة.
وإذا ما تم عكس ذلك فإن جو الخلل سوف يعصف بالثقة وبالاقتدار وبالتوافق المعنوي المطلوب؛ والمهم في أي علاقة مبنية على الممارسات المدروسة.

إن ما يحدث الآن هو ضغوط على قيادات الشركات، ولا بديل للتخلص من تلك الضغوط إلا بإعادة تحديد الأهداف حسب الغرض الذي أنشئت من أجله الشركة، وترتيب الأولويات والتركيز على الأمور الهامة التي يترتب على عدم إنجازها أضرارًا كبيرة للشركة.

وأخيرًا... لنتعلم كيف نوجه الجهود، وكيف نمارس درجة عالية من الضبط والسيطرة الذاتية، ولنجعل عملنا تحت الضغوط له نتائجه الايجابية.

شفافية الشركات
و سرية الجهات الحكومية

إذا كان أسلوب التحرك لتحقيق الميزة التنافسية يمثل لنا الاستراتيجية، فإن الخطط تستوجب أن نعطي دورنا زخمًا حثيثًا لكي نحقق الإفصاح. والدور ما هو إلا نشاط يحقق ما هو مطلوب في موقف معين.

نحن نعلم أن هناك معلومات مستندة إلى قاعدة بيانات، وأن هناك حقوق مساهمين، ورأسمالاً وأصولًا وعوائد ، لكن الأهم من هذا كله هو إسباغ الوضوح الذي يمنح أهمية لما سنقوم به والمغزى المطلوب.

والتركيز على الوضوح هو سلوك يقتضي منا أن نضع اختيارات وممارسات لمواقف نتعرض لها ، وأن تكون لدينا استجابات وردات فعل يفترض أن تكون إيجابية، وذلك تحقيقًا لمبدأ الشفافية التي تعتبر الركن الثاني لإدراك الحوكمة التي هي نظام يمكن بواسطته أن ندير ونراقب مؤسسات الأعمال، ويعمل على تحفيز الشفافية والإفصاح المطلوبين.

ولما كان وضع المخاطر قائمًا، فلابد من إتباع المرونة الكافية، فلن تؤتي تلك المرونة ثمارها إلا بالمبادرة وما يتبعها من تفاعل.

وإذا تكلمنا كقياديين فعلينا تبني أدنى حد من القلق وأدنى حد من التباطؤ في إعطاء المعلومات لمعالجة التعامل المطلوب ما بين الشركة والجهات الأخرى، خصوصًا تلك التي نستشف منها التعاون في حل الأزمة. كل هذا يحتاج إلى اتخاذ قرارات، وتحقيق الأهداف التي هي عبارة عن نتائج مرتبطة ارتباطًا حميميًا برسالة الشركة ورؤيتها.

فالمسألة لابد أن يكون لها حل، والحل يفترض اختيار واختبار وسائل وتحليلها كبدائل تطرح لتثبيت روح الثقة ما بين الشركات والجهات الأخرى التي سوف تتعامل معها.

والهاجس الأكبر هنا والمطلوب من الجهات التي تبدي تعاونًا هو الحفاظ على الخيط الرفيع عبر إعطاء ضمانات مكتوبة على شكل تعهدات مهنية تكون وثاق شرف للحفاظ على سرية معلومات أي شركة تعتمد التعاون للخروج من عنق الزجاجة الذي يضيق كلما انحسرت فرص التفاهم والاتفاق.

فلا مجال للحل الآن إلا باقتناع الجانبين بحتمية التقارب المهني وفق أسس أخلاقية تكون بعيدة عن التواطؤ وتعد اتجاهًا متماسكًا للوصول إلى موضوعية التعامل.

❖ ❖ ❖

شمس للنشر والإعلام

رؤية جديدة في عالم النشر

في مسعى جاد لتقديم رؤية جديدة تسهم في تصحيح العديد من المسارات في مجال النشر، تم تأسيس "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" كخطوة على طريق إرساء أسس مشروع ثقافي متكامل يهدف إلى نشر الإبداع العربي في كافة التخصصات، وإثراء صناعة النشر، وتقديم إضافة حقيقية إلى مسيرة الكتاب العربي، وفق رؤى متوازنة تجمع ما بين طبيعة عملها كمؤسسة تجارية تتطلع إلى تحقيق الربح والانتشار، ومابين تحقيق رسالتها الثقافية.

وتهدف "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" إلى تحقيق عدد من الغايات:

- إتاحة الثقافة الرفيعة للقارئ العربي، وتلبية حاجاته من المعرفة.
- الإسهام الفعال في نشر الإبداع العربي، من خلال سياسات ترويج وتوزيع تتلاءم ومقتضيات العصر.
- تفعيل حركة النشر، خاصة لشباب المؤلفين، ورعاية وتشجيع المبدعين، ودعم قدراتهم الفكرية والأدبية، والعمل على نشرها وإبرازها.
- حماية الحقوق الفكرية والمادية للكتّاب، وإعادة صياغة أسس التعامل المادي مع المؤلفين وفق قواعد أكثر إنصافاً.

- التعريف بالكاتب والكتاب إعلامياً وجماهيرياً، ومد جسور التواصل بين المبدع والمتلقي.
- إثراء الحياة الثقافية بالأنشطة والندوات والفعاليات، من خلال رؤى تنظيمية وترويجية تضمن نجاحها والمشاركة الفاعلة فيها.
- الوصول بالإبداع العربي إلى القارئ غير العربي، من خلال ترجمة الإصدارات العربية المتميزة إلى لغات مختلفة، والعمل على خلق آفاق عالمية لنشرها بالتعاون مع دور نشر احترافية في العديد من الدول.
- توثيق الصلات بين دور النشر المحلية والعربية والدولية، وكذلك بين الكتاب والمثقفين العرب، والتواصل الفاعل مع المهتمين على اختلاف توجهاتهم، وفق صيغ تعاون إيجابية.
- إعادة نشر التراث المعرفي العربي ذي الإفادة في عصرنا، وتحقيقه وتدقيقه.

ويرتكز عمل المؤسسة على منهاج "احترام الكاتب والكتاب" مادياً وأدبياً ومعنوياً، وفق عدة معايير تقوم على الالتزام التام بأخلاقيات مهنة النشر. وتسعى لتقديم رؤية جديدة لصناعة الكتاب تشمل الدقة في انتقاء المحتوى، والجودة في إخراجه وتصميمه وتنفيذه وطباعته، والاهتمام بنشره وترويجه إعلامياً ودعائياً، بما يضمن له؛ في النهاية؛ مكاناً بارزاً في مكتبة القارئ.

شمس للنشر والإعلام

www.shams-group.net

(+2) 02 27270004/5 - (+2) 0188890065

المؤلف في سطور

- فاضل مصطفى عبد السلام الزباد
- حاصل على بكالوريوس في العلوم السياسية من كلية العلوم السياسية (جامعة بغداد) عام ١٩٧٤
- درس في مركز خدمة المجتمع التابع لجامعة الكويت واجتاز عدة دورات في الإدارة، وإدارة الأعمال، وإدارة الموارد البشرية.
- عمل في مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية منذ عام ١٩٧٧ بوظيفة باحث موارد بشرية، واشترك في إنجاز العديد من الدراسات الإدارية المتعلقة بشؤون القوى العاملة، وحصل على شهادات تقدير جرّاء عمل تلك الدراسات.
- حصل على شهادة تقدير وشكر من الهيئة العامة للتعليم التطبيقي في الكويت لاشتراكه في دراسة خاصة بالموارد البشرية.
- له العديد من القصائد الشعرية والمقالات المنشورة في بعض الصحف الكويتية.

- البريد الإلكتروني: fadel_al_subae@hotmail.com

n

§ إهـــداء ٥

§ مقدمة ٧

§ منتهزات التقوّل ١١

§ إدراك المواقف ١٥

§ أعمدة الملاحم ١٧

§ استدلال صدق الكلمة ١٩

§ ارتداد الإبداع ٢٣

§ أصالة الإبداع ٢٧

§ الإبداع بين التخوف والحرية ٢٩

§ الانفتاحات المحركة للواقع ٣١

§ التحفيز نحو فرص التميز الثقافي ٣٣

§ الكتابة هـدف ٣٧

§ الكتابة بين الجذب والانحسار ٣٩

§ القصور في فهم الحرية ٤٣

§ النص بين الاكتناف والإثارة ٤٥
§ بيان الكلمة ٤٧
§ تصدية الريادة ٤٩
§ تعاقب الحضارات ٥٣
§ تواكب الجدارة ٥٥
§ حُلَل الموهبة ٥٩
§ خفقان البدايات ٦١
§ سمو الريادة في فضاءات الالتزام ٦٥
§ غـايـة التاريخ ٦٧
§ قرائن النية ٦٩
§ قوامة الحسم ٧٣
§ مـد الطبيعة ٧٥
§ مردّ العالقين ٧٧
§ مسؤولية التفكر ٧٩
§ معيار الموقف وأمثلية المبدأ ٨١
§ مـهـام الوقائع ٨٥

§ وضوح العمل الأدبي ٨٧
§ وثبة الخيال ٨٩
§ وجهة الإبداع ٩١
§ قِداح الذائقة ٩٥
§ تحالم النظم ٩٧
§ مزايدات الغطرسة ٩٩
§ نـدب النزاعات ١٠١
§ التداعيات بين تسيّد الأقدام وتخلخل التردد ١٠٥
§ الحوكمة و القيادة ١٠٩
§ دور الضغوط في كفاءة القيادة ١١٥
§ شفافية الشركات و سرية الجهات الحكومية ١١٩
§ شمس للنشر والإعلام ١٢٢
§ المؤلف في سطور ١٢٤
§ فهرس ١٢٥

شمس
للنشر والتوزيع
(+٢) ٠١٨٨٨٠٠٦٥ (+٢) ٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤
www.shams-group.net